سلسلة ذخائر تراثنا

١٢

فلسفة الميثاق والولاية

تأليف

الأمام العلامة

السيد عبد الحسين بن يوسف الأمين

الموسوي العاملي

١٢٩٠ـ١٣٧٧هـ

تحقيق

علي جلال باقري

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

فلسفة الميثاق والولاية

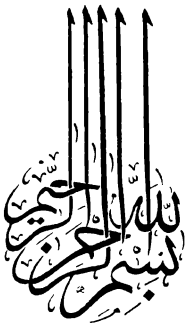
بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة ذخائر تراثنا
١٢

فلسفة الميثاق والولاية

تأليف
الأمام العلامة
السيد عبد الحسين شرف الدين
الموسوي العاملي
١٢٩٠ـ١٣٧٧هـ

تحقيق
علي جلال باقر

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

بيروت - بئر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاد العربية - بناية نخلة

تلفاكس: ٠١-٥٤١٤٣١ - هاتف: ٠١-٥٤٤٨٠٥ - ص.ب: ٢٤/٦٣

بريد الكتروني: alalbayt@inco.com.lb

www.al-albayt.com

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أخذ الميثاق له بالربوبية والوحدانية، ولنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوّة والرسالة، ولأخيه أمير المؤمنين والأحد عشر من وُلده بالإمامة والولاية، وأشهد العباد على أنفسهم على ذلك لكي يسدّ عليهم باب الاحتجاج يوم القيامة.

والصلاة والسلام على من تحمّل عبء الرسالة الثقيل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى أخيه ووصيّه أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعلى ابنته الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين عليها السلام، وعلى الأئمّة المعصومين المنتجبين من وُلدهما عليهما السلام.

أمّا بعد..

فإنّ الميثاق والولاية من الأُمور الخطيرة التي تدخل في صميم العقيدة الإسلامية الحقّة، وهي من البساطة بمكان حتّى إنّها لا تحتاج من القارئ المنصف الذي يبحث عن الحقّ وأهله إلى كثير من العناء والمشقّة ليزيل الغشاوة عن عينيه ليرى نور الله الذي يضيء له طريق النجاة والفلاح.

فآيات القرآن الكريم صريحة جدّاً في إظهار أحقّية أهل البيت عليهم السلام

بالولاية والإمامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ ، منها : ما تناولها كاتب هذه الرسالة الإمام العلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين قدس سره في القسم الأوّل منها ، وهي آية الميثاق ، وذلك في معرض جوابه عن سؤال الشيخ عبّاس قلي الواعظ التبريزي الجراندابي ، حين سأله عن معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلىٰ شهدنا** ﴾ ، وذلك لو أردنا تفسيرها بغضّ النظر عن حملها علىٰ عالم الذرّ ، الذي نقول به ، والذي تثبت وقوع هذا الإشهاد وأخذ الميثاق فيه الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام .

وكذلك آية الولاية في القسم الثاني من الرسالة ، حين سأله عن قوله تعالىٰ : ﴿ **حُرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع إلّا ما ذكّيتم وما ذُبح علىٰ النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وآخشونِ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفور رحيم** ﴾ بأنّها آية واحدة مسوقة لبيان الأحكام ، فأيّ ربط لها بتعيين الإمام ؟!

والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة السند والمتواترة تملأ بطون الكتب ، سواء في ذلك روايات الفريقين ، وحتّىٰ تلك الفرق المعادية لأهل البيت عليهم السلام تظهر في مروياتهم وبوضوح أحقّيّة أهل البيت عليهم السلام بالخلافة والإمامة ، فنلاحظ من خلالها أنّ النبيّ ﷺ لم يدّخر جهداً في توضيح هذه المسألة وإبلاغه الناس ، منذ اللحظة الأُولىٰ من البعثة النبوية المباركة وحتّىٰ آخر لحظة من حياته الشريفة ، حين طلب منهم أن يحضروا له دواة

وكتفاً ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً.

فنحن نعتقد بأنّ معرفة الحقّ قد خُزنت في قلوب بني آدم منذ أن أشهدهم الله على أنفسهم حين رأوا من حقائق الأُمور ما جعلهم يقرّون مستسلمين بالبداهة التي تتداعى في الذهن من جملة: ﴿**قالوا بلى شهدنا**﴾، إلّا أنّ عدم وجود المؤهّل الذاتي، أو وجود تراكمات الذنوب والأوهام والخطرات وتلويث النطف، وغيرها، تحول دون أن يرى الإنسان مكامن النور في قلبه، وذلك لكونها محجوبة بحجب الأدران والزيغ، فيبدأ مسيرته باتّجاه نسيان ما رآه وعرفه.. ﴿**فإنّها لا تَعمى الأبصار ولكن تَعمى القُلوبُ التي في الصُّدور**﴾.

ومتى ما أقبلت النفس على الأعمال التي من شأنها أن تعمل على تصفيتها وتهذيبها وتزكيتها ممّا علق بها من هذه الحجب تفتّحت مكامن المعرفة، وتختلف هذه باختلاف سعي النفوس وراءها، حتّى يبلغ بها المقام عند مرتبة أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام بقوله: «**لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً**»[1].

فجاءت هذه الرسالة صغيرة الحجم، قوية السبك، عالية المضامين، جليّة الحجّة والبرهان.

(١) آنظر: غرر الحكم ودرر الكلم ٢/١٤٢ رقم ١.

ترجمة المؤلّف[١]

يكلّ القلم وتعجز الأنامل عن إيفاء الكتابة عن حياة عالم كبير مثل السيّد شرف الدين قدس سره ، الذي هو علم من أعلام عصره ، الذي جمع بين العلم والجهاد ضدّ الاستعمار ومقارعته ، ولكنّنا وفاءً لقليل من الدين الذي علينا تجاه هذا الرجل العظيم ، ننقل قبساً من حياته التي قضاها في سبيل خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام .

اسمه ونسبه :

عبد الحسين بن يوسف بن الجواد بن إسماعيل بن محمّد بن محمّد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين الموسوي العاملي .

مولده :

وُلد السيّد شرف الدين في مدينة الكاظمية من العراق سنة ١٢٩٠ هـ ، من أبوين كريمين يصل نسبهما إلىٰ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

عاد في الثانية والثلاثين من عمره إلى جبل عامل من جنوب لبنان حيث منبت أُسرته ، وغدا بعد فترة قليلة زعيمها الكبير .

---

(١) اعتمدت في هذه الترجمة علىٰ المصادر التالية :
أعيان الشيعة ٧/ ٤٥٧ ، الأعلام ٣/ ٢٧٩ ، معجم المؤلّفين ٢/ ٥٣ ، مقدّمة كتاب «المراجعات» .

قاد التغيير الاجتماعي في بلده، ثمّ تصدّىٰ لمجابهة الاستعمار والاحتلال الفرنسي في لبنان، فطاردته القوات الفرنسية وأحرقت بيته ومقرّه بما في ذلك مكتبته الكبرىٰ، وشرّدت عائلته، فتنقّل من لبنان إلىٰ الشام ففلسطين فمصر، وأينما حلّ كان مشعلاً للإسلام ونوراً للمسلمين.

وفي سنة ١٣٢٩ زار مصر وألتقىٰ هناك الشيخ سليم البشري الذي تراسل معه في عدّة رسائل أنتجت في ما بعد كتاب «المراجعات»، وكان قد زار المدينة المنوّرة نحو سنة ١٣٢٨، وفي سنة ١٣٤٠ حجّ بيت الله الحرام، وفي سنة ١٣٥٥ زار العراق فإيران.

دراسته :

درس في النجف الأشرف وفي سامرّاء على أعلامهما أمثال الطباطبائي والخراساني وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ محمّد طه نجف.

وفاته :

توفّي ﷺ في إحدىٰ مستشفيات بيروت، يوم الثلاثاء عاشر جمادىٰ الآخرة ١٣٧٧ هـ، ونقل جثمانه إلىٰ بغداد بالطائرة، بعد أن شيّع في بيروت تشييعاً رسمياً، ودفن بالنجف الأشرف.

مؤلّفاته :

٢ ـ النصّ والاجتهاد .

٣ ـ الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة .

٤ ـ الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام .

٥ ـ أبو هريرة .

٦ ـ أجوبة مسائل جار الله .

٧ ـ فلسفة الميثاق والولاية ، وهي الرسالة التي بين يديك عزيزي القارئ .

٨ ـ مسائل فقهية خلافية .

٩ ـ بغية الراغبين .

١٠ ـ ثبت الأثبات في سلسلة الرواة .

١١ ـ مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام .

١٢ ـ زكاة الأخلاق .

وغير ذلك من المؤلّفات المفيدة النافعة التي خدمت المذهب الحقّ .

منهجيّة التحقيق :

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة علىٰ نسخة مطبوعة في ذيل رسالته المسمّاة «كلمة حول الرؤية» بالقطع الجيبي ، والتي طبعتها مكتبة نينوىٰ الحديثة ، في طهران ، بالتصوير عن الطبعة الثانية للرسالة ، المطبوعة في مطبعة العرفان ، في صيدا ، عام ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م ، وآقتصرتُ في تحقيق هذه الرسالة علىٰ :

١ ـ ضبط النصّ ، من حيث التقطيع والتصحيح .

٢ ـ استخراج الآيات القرآنية.

٣ ـ استخراج الأحاديث النبوية الشريفة، وإرجاعها إلىٰ مصادرها الأصلية، وقد آقتصرت فيها علىٰ ذِكرِ بعضٍ من أهمّ المصادر المخرِّجة لها، إذ لو أردنا التوسّع في ذِكر المصادر ـ لا سيّما في أحاديث فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام ـ لخرج بنا المقام عن هدف الرسالة المؤلّفة لأجله، والتفصيل مرهونٌ في مظانّه ممّا أُلّفَ في خصوص كلٍّ منها.

٤ ـ استخراج الأبيات الشعرية التي وردت في الرسالة، مع ترجمة مختصرة لقائلها.

٥ ـ توضيح المطالب المهمّة، بشرحها والتعليق عليها، أو إحالتها علىٰ مصادرها الأصلية.

٦ ـ شرح معاني الكلمات الغامضة والغريبة.

٧ ـ أبقيتُ علىٰ الهوامش التي أدرجها السيّد شرف الدين قدس سره في رسالته، وألحقت بها جملة «منه قدس سره».

٨ ـ أدرجتُ عدّة عناوين لتوضيح رؤوس المطالب ووضعتها بين القوسين المعقوفتين [ ].

وفي الختام:

لا يسعني إلّا أن أُقدّم شكري الجزيل إلىٰ نشرة «تراثنا» الغرّاء، التي حثّتني علىٰ الشروع بتحقيق هذه الرسالة القيّمة وإكمالها، ومن ثمّ نشرها علىٰ صفحاتها.

وكذا أُسدي شكري إلىٰ أعضاء مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء

التراث / فرع دمشق ، الّذين ساهموا معي في إخراج هذا العمل إلىٰ الملأ العلمي لفائدته الجُلّىٰ ، لا سيّما الأخ عبد الكريم الجوهر ؛ والأخ السيّد محمّد علي الحكيم ، الذي قدّم لي التوجيهات اللازمة لإبراز هذه الرسالة بما يليق بها ، داعياً المولىٰ العليّ القدير أن يوفّقنا جميعاً لِما فيه خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام وبثّ علومهم ونشرها ، إنّه نعم المجيب .

وآخر دعوانا أنِ . .

« اللّهمّ كن لوليّك الحجّة بن الحسن ، صلواتك عليه وعلىٰ آبائه ، في هذه الساعة ، وفي كلّ ساعة ، وليّاً وحافظاً ، وقائداً وناصراً ، ودليلاً وعيناً ، حتّىٰ تسكنه أرضك طوعاً ، وتمتّعه فيها طويلاً » .

والحمد لله أوّلاً وآخراً ،

وصلّىٰ الله علىٰ سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين ،

وسلّم تسليماً .

علي جلال باقر

ذكرىٰ المبعث النبويّ الشريف

٢٧ رجب الحرام ١٤٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

إنّ أخي في الله عزّ سلطانه ، المخلص لله في دينه ويقينه ، القائم في نصرة الحقّ علىٰ ساقه ، المجاهد في سبيله بيده ولسانه وقلمه ، الشيخ الجليل الحاجّ عبّاس قلي الواعظ التبريزي الجرانداببي[1] ، أدام الله سداده ،

---

(١) هو ميرزا عبّاس قلي صادق پور وجدي ، المشتهر بواعظ جرندابي ، وُلد بتبريز سنة ١٣١٥ وتوفّي فيها سنة ١٣٨٦ .

تعلّم العلوم الدينية عند الشيخ علي الشربياني [المتوفّىٰ ٢ ذي القعدة ١٣٤٨ ، صاحب كتاب «معرفة الأئمّة» المطبوع في تبريز سنة ١٣٢٤ هـ ، و «خلاصة التوحيد» في الكلام ، لم يُطبع] ، ودرس الرياضيّات والإسطرلاب علىٰ الميرزا لطف علي ، إمام الجمعة [المتوفّىٰ عن حدود ٧٣ عاماً في ١٣٣٩] .

وقد أسّس الواعظ الجرندابي في سنة ١٣٣٦ هـ مدرسة جديدة سمّاها «الإرشاد» في راسته كوچه بتبريز ـ كما في تاريخ فرهنك آذربايجان ١ / ١٧٠ ـ وذلك في عهد رئاسة أبو القاسم فيرضات والدكتور أعلم الملك ، وفي عهد محمّد علي تربيت ترك المدرسة هذه وآشتغل بالتدريس في المدرسة الطالبية القديمة فدرّس الرياضيّات والمنطق ، ثمّ في حدود ١٣٤١ أسّس عدّة من العلماء مدرسة «سرخاب وشترخاب» وعيّنوا الجرندابي مديراً لها برعاية الميرزا صادق المجتهد التبريزي ، وبعد مدّةٍ ترك هذه المدرسة وتفرّغ للوعظ والخطابة .

وللمترجَم مكتبةٌ نفيسةٌ تحتوي علىٰ أكثر من عشرة آلاف مجلّد ، أهدىٰ نفائسها والمخطوطات منها لمكتبة مشهد الإمام الرضا عليه السلام ـ آستانه قدس رضوي ـ ، وكان له مكاتبات مع علماء عصره ، كالسيّد محسن الأمين العاملي والشيخ محمّد جواد البلاغي والسيّد هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء والشيخ آقا بزرك الطهراني وغيرهم رحمهم الله .

وبلّغه رشاده ؛ أتحفني في هذه الأيام بكتاب مستطاب ، فرض علَيَّ فيه فلسفة الميثاق[١] والولاية . .

إذ سألني عن آيات تختصّ بهما كما سنفصّله في الجواب إن شاء الله تعالىٰ .

وحيث لا يسعني إلّا الإيجاب ؛ بادرت بالجواب ، علىٰ ما بي من البلبال ، في هذه الأحوال ، متوكّلاً علىٰ الله ، مستمدّاً من فيضه تبارك وتعالىٰ ، معتصماً به من خطل الرأي وعثرة القلم .

فأقول مخاطباً لجنابه العالي ـ وما توفيقي إلّا بالله ، عليه توكّلت وإليه أُنيب ـ :

ومن مؤلّفاته : عظمت حسين بن علي عليه السلام ، زندگاني محمّد صلى الله عليه وآله لتوماس كارلايل ، ذو القرنين وسدّ يأجوج ومأجوج ، هشت مقاله .

آنظر : مستدركات أعيان الشيعة ٣/ ١١٥ .

(١) الميثاقُ ـ من الموائقة والمعاهدة : العهد ؛ ومنه المَوْثِق ، تقول : واثقته بالله لأفعلنّ كذا وكذا .

آنظر : لسان العرب ١٥/ ٢١٢ مادّة «وثق» .

[الميـثـاق]

سألتني أيّها الشيخ ـ أعزّك الله ـ عن قوله تعالىٰ: ﴿ **وإذ أخذ ربُّكَ من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتَهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلىٰ شهدنا** ﴾[1]..

فـقلتَ: ما معنىٰ هذه الآية إذا قطعنا النظر عن حـملها عـلىٰ عـالَم الـذرّ؟

وما وجه الاستشهاد بها علىٰ نبوّة نبيّـنا صلى الله عليه وآله وسلم، وإمامة أئمّتنا عليهم السلام؟

فالجواب ـ إذاً ـ يقع في مقامين:

---

(١) سورة الأعراف ٧: ١٧٢.

المقام الأوّل
في معنىٰ الآيـة[١]

فأقـول :

ظاهر الآية أنّها إنّمـا جاءت علىٰ سبيـل التمثيل والتصوير ، فمعـناها ـ والله تعالىٰ أعلم ـ:

﴿ **و**﴾ آذكر يا محمّـد للناس ما قد واثقوا الله عـليه بـلسان حـالهم التكوينيّ ، من الإيمان به والشهادة له بالربوبية ، وذلك ﴿ **إذ أخذ ربّك**﴾ أي حيث أخذ ربّك جلّ سلطانه ﴿ **من بـني آدم**﴾ أي ﴿ **مـن ظـهورهم ذرّيّتهم**﴾ ، فأخرجها من أصلاب آبائهم نطفاً ، فجعلها في قرار مكين من أرحام أُمّهاتهم ، ثمّ جعل النطف علقاً ، ثمّ مُضَغاً ، ثمّ عظاماً ، ثمّ كسا العظام لحماً ، ثمّ أنشأ كلّاً منهم خلقاً سويّـاً[٢] ، قـويّـاً ، فـي أحسـن تـقويم[٣] ،

---

(١) إنّ هذه الآية المباركة من أعجب الآيات نظماً وأوضحها وأدقّها دلالة علىٰ الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالىٰ من بني آدم علىٰ ربوبيّته ، ويستفاد من سياق الآية والآيات التي بعدها أنّ الله تعالىٰ قطع عذر العباد بإقامته الحجّة عليهم ، إذ لولا هذا الأخذ والإشهاد علىٰ ربوبيته تعالىٰ ، ونبوّة النبيّ محمّد ﷺ ، وإمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ، لكان للعباد أن يحتجّوا علىٰ الله يوم القيامة بحجّة يدفعون بها عن أنفسهم العذاب لعدم إيمانهم أو شركهم به سبحانه ، ولعدم إيمانهم بالنبوّة والإمامة .

(٢) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين * ثُـمّ جـعلناه نطفة في قرار مكين * ثمّ خلقنا النطفّة علقة فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فـتبارك الله أحسـن الخـالقين**﴾ سورةالمؤمنون ٢٣ : ١٢ ـ ١٤ .

(٣) إشارة إلىٰ قوله سبحانه تعالىٰ : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسـن تـقويم**﴾ سـورة التين ٩٥ : ٤ .

سميعاً بصيراً[١]، ناطقاً، عاقلاً، مفكّراً، مدبّراً، عالماً، عاملاً، كاملاً، ذا حواسّ ومشاعرَ وأعضاء أدهشت الحكماء، وذا مواهب عظيمة، وبصائر نيّرة تميّز بين الصحيح والفاسد، والحسن والقبيح، وتفرّقُ بين الحقّ والباطل، فيدرك بها آلاء الله في ملكوته، وآيات صنعه جلّ وعلا في خلق السماوات والأرض، وآختلاف الليل والنهار، وفي نُظُمه المستقيمة جارية في سمائه وأرضه علىٰ مناهجه الحكيمة.

وبذلك وجب أن يكونوا علىٰ بيّنة قاطعة بربوبيّته، مانعة عن الجحود بوحدانيّته.

فكأنّه تبارك وتعالىٰ إذ خلقهم علىٰ هذه الكيفية قرّرهم ﴿**وأشهدهم علىٰ أنفسهم**﴾ فقال لهم: ﴿**ألستُ بربكم**﴾؟![٢].

وكأنّهم ﴿**قالوا بلىٰ شهدنا**﴾ علىٰ أنفسنا لك بالربوبية، وبخعنا لعزّتك وجلالك بالعبودية، نزولاً علىٰ ما قد حكمتْ به عقولنا، وجزمتْ به

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً**﴾ سورة الإنسان ٧٦: ٢.

(٢) نقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢/ ١٠٠ عن أبي سعيد الخدري، قال: «حججنا مع عمر أوّل حجّة حجّها في خلافته، فلمّا دخل المسجد الحرام، دنا من الحجر الأسود فقبّله وآستلمه، وقال: إنّي لأعلم أنّك حجَر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت رسول الله ﷺ قبّلك وآستلمك لَما قبّلتك ولا استلمتك.

فقال له عليٌّ عليه السلام: بلى... إنّه ليضرُّ وينفع، ولو علمتَ تأويل ذلك من كتاب الله لعلمتَ أنّ الذي أقول لك كما أقول، قال الله تعالىٰ: ﴿**وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلىٰ**﴾ فلمّا أشهدهم وأقرّوا له أنّه الربّ عزّ وجلّ وأنّهم عبيد، كتب ميثاقهم في رقٍّ، ثمّ ألقمه هذا الحَجر، وله لعينين ولساناً وشفتين، تشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله عزّ وجلّ في هذا المكان.

فقال عمر: لا أبقاني الله في أرض لست بها يا أبا حسن!».

بصائرنا، حيث ظهر لديها أمرك، وغلب عليها قهرك، فلا إلٰه إلّا أنت، خلقتنا من تراب، ثمّ أخرجتنا من الأصلاب نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ عظاماً، ثمّ كسوت العظام لحماً، ثمّ أنشأتنا خلقاً آخر قد انطوىٰ فيه العالم الأكبر..

فسبحانك سبحانك ما أسطع برهانك، تحبّبت إلينا، فدللتنا عليك بآياتك، وأنت الغني الحميد، وتفضّلت علينا، فدعوتنا إليك ببيّناتك، ونحن الفقراء العبيد، ولولا أنت لم ندرِ ما أنت.

فلك الحمد إقراراً لك بالربوبية، والحمدُ فضلُك، ولك الشكرُ بخوعاً منّا بالعبودية، والشكرُ طَوْلُك، لا إلٰه إلّا أنت ربّ العرش العظيم.

هذا كلّه من مرامي الآية الكريمة، وإنّما جاءت علىٰ سبيل التمثيل والتصوير، تقريباً للأذهان إلىٰ الإيمان، وتفنّناً في البيان والبرهان، وذلك ممّا تعلو به البلاغة فتبلغ حدّ الإعجاز.

ألا ترىٰ كيف جعل الله نفسه في هذه الآية بمنزلة المُشهِد لهم علىٰ أنفسهم، وجعلهم بسبب مشاهدتهم تلك الآيات البيّنات وظهورها في أنفسهم وفي خلق السماوات والأرض بمنزلة المعترف الشاهد، وإن لم يكن هناك شهادة ولا إشهاد؟!

وباب التمثيل واسع في كلام العرب، ولا سيّما في الكتاب والسُنّة، قال الله تعالىٰ: ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين علىٰ أنفسهم بالكفر**﴾[1]..

ضرورة أنّهم لم يشهدوا علىٰ أنفسهم بألسنتهم، وإنّما شهدوا بألسنة

---

(١) سورة التوبة ٩: ١٧.

أحوالهم ، إذ نصبوا أصنامهم حول الكعبة فكانوا يطوفون بها عراة ويقولون : لا نطوف عليها في ثياب أصبنا فيها المعاصي[١] ، وكلّما طافوا بها شوطاً سجدوا لها ، فظهر كفرهم بسبب ذلك ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه ، فكأنّهم شهدوا به علىٰ أنفسهم .

وبهذا صحّ المجاز علىٰ سبيل التمثيل في هذه الآية .

ونحوها قوله تعالىٰ : **﴿ ثمّ استوىٰ إلىٰ السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾**[٢] . .

إذ لا قول هنا من الله عزّ وجلّ ، ولا منهما قطعاً . .

وإنّما المراد أنّه سبحانه شاء تكوينهما فلم يمتنعا عليه ، وكانتا في ذلك كالعبد السامع المطيع يتلقّىٰ الأمر من مولاه المطاع .

وعلىٰ هذا جاء قوله تعالىٰ : **﴿ إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾**[٣] . .

ضرورة أنّ القول في هذه الآية ليس علىٰ حقيقته . .

والحقيقة ما اقتبسه الإمام زين العابدين عليه السلام من مشكاة هاتين الآيتين ، إذ قال في بعض مناجاة ربّه عزّ وجلّ : «**وجرىٰ بقدرتك القضاء ، ومضت علىٰ إرادتك الأشياء ، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة ، وبإرادتك دون نهيك منزجرة**»[٤] .

وممّا جاء في القرآن الحكيم من المجاز علىٰ سبيل التمثيل قوله عزّ

---

(١) آنظر : تفسير الفخر الرازي ١٦ / ٩ .

(٢) سورة فصّلت ٤١ : ١١ .

(٣) سورة النحل ١٦ : ٤٠ .

(٤) الصحيفة السجّادية : ٥٩ دعاؤه إذا عرضت له مهمّة أو نزلت به ملمّة وعند الكرب .

من قائل : ﴿ **إنّا عرضنا الأمانة علىٰ السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان** ﴾ [١] الآية .

لأنّ عرضها علىٰ السماوات والأرض والجبال لم يكن علىٰ ظاهره ، وكذلك إباؤها وإشفاقها ، وما هو إلّا مجاز علىٰ سبيل التمثيل والتصوير تقريباً للأذهان ، وتعظيماً لأمر الأمانة ، وإكباراً لشأنها .

والأمانة هنا هي طاعة الله ورسوله في أوامرهما ونواهيهما ، كما يدلّ عليه سياق الآية وصحاح السُنّة في تفسيرها [٢] .

ولو أردنا استقصاء ما جاء في الذِكر الحكيم والفرقان العظيم من هذه الأمثلة ، لطال بنا البحث وخرجنا به عن القصد .

وحسبك توبيخه عزّ وجلّ لأهل الغفلة عن قوارع القرآن الحكيم ، المستخفّين بأوامره وزواجره ، إذ يقول وهو أصدق القائلين : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكّرون** ﴾ [٣] .

أمّا ما جاء في السُنّة من هذا القبيل فكثير إلىٰ الغاية ، وكثير لا يحصىٰ ، وحسبك منه الصحاح الصريحة ببكاء الأرض والسماء علىٰ سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء . .

إذ بكته الشمس بحمرتها ، والآفاق بغبرتها ، وأظلّة العرش بإعوالها ، وطبقات الأرض بزلزالها ، والطير في أجوائها ، وحجارة بيت المقدس بدمائها ، وقارورة أُمّ سلمة بحصيّاتها ، وتلك الساعة بآياتها ؛ كما صرّحت به

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ : ٧٢ .

(٢) أنظر مثلاً : تفسير الطبري ١٠ / ٣٣٩ ح ٢٨٦٨٦ ، مجمع البيان ٨ / ١٦٢ .

(٣) سورة الحشر ٥٩ : ٢١ .

أحاديث السُنّة وصحاح الشيعة[١].

وأنت تعلم أنّ بكاء تلك الأجرام لم يكن على ظاهره، وإنّما كانت مجازاً على سبيل التمثيل، إكباراً لتلك الفجائع، وإنكاراً على مرتكبيها، وتمثيلاً لها مسجّلة في آفاق الخلود، إلى اليوم الموعود.

وممّا جاء في السُنّة على هذا النمط من المجاز على سبيل التمثيل حديث كربلاء والكعبة[٢] الذي أشار إليه سيّد الأُمّة، وبحر علوم

---

(١) آنظر: مسند أحمد ٣/٢٤٢ و ٢٦٥، تاريخ اليعقوبي ٢/١٥٩، المعجم الكبير ٣/١١٤ ح ٢٨٤٠، تهذيب التهذيب ٢/٣٤٧، الدرّ المنثور ٧/٤١٣، الجامع لأحكام القرآن ١٦/٦٤، الإرشاد ٢/١٣٠، الأمالي ـ للصدوق ـ: ٦٩٤ ـ ٦٩٦، إعلام الورىٰ: ٢١٧.

(٢) لقد وردت روايات كثيرة معتبرة في تفضيل أرض كربلاء علىٰ أرض الكعبة، منها ما رواه شيخ الطائفة الأقدم أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه ـ المتوفّىٰ ٣٦٧ ـ في كتابه «كامل الزيارات»، ص ٢٦٦ ـ ٢٧١..

● فقد روىٰ بسنده عن عبدالله بن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لرجل من مواليه: يا فلان! أتزور قبر أبي عبدالله الحسين بن عليّ عليهما السلام؟

قال: نعم، إنّي أزوره بين ثلاث سنين أو سنتين مرّة.

فقال له وهو مصفرّ الوجه: أما والله الذي لا إله إلّا هو، لو زرته لكان أفضل لك ممّا أنت فيه!

فقال له: جُعلت فداك! أكُلّ هذا الفضل؟!

فقال: نعم، واللهِ لو إنّي حدّثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحجّ رأساً، وما حجّ منكم أحد!

ويحك! أما تعلم أنّ الله اتّخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتّخذ مكّة حرماً؟!

قال ابن أبي يعفور: فقلت له: قد فرض الله علىٰ الناس حجّ البيت ولم يذكر زيارة قبر الحسين عليه السلام؟!

فقال: وإن كان كذلك، فإنّ هذا شيء جعله الله هكذا، أما سمعت قول أبي أمير

الأئمّة ، في درّته النجفية[1] ، إذ يقول أعلىٰ الله مقامه :

المؤمنين عليه السلام حيث يقول : «إنّ باطن القدم أحقّ بالمسح من ظاهر القدم ، ولكنّ الله فرض هذا علىٰ العباد» ؟ !

أوَما علمتَ أنّ الموقف لو كان في الحرم كان أفضل لأجل الحرم ؟ ! ولكنّ الله صنع ذلك في غير الحرم !

● وروىٰ عن بيّاع السابري ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : إنّ أرض الكعبة قالت : مَن مثلي وقد بنىٰ الله بيته علىٰ ظهري ، ويأتيني الناس من كلّ فجّ عميق ، وجُعلتُ حرم الله وأمنه ؟ !

فأوحىٰ الله إليها أن كُفّي وقرّي ! فوعزّتي وجلالي ما فضلُ ما فُضّلتِ به في ما أعطيتُ به أرض كربلاء إلّا بمنزلة الإبرة غُمست في البحر فحملت من ماء البحر !

ولولا تربة كربلاء ما فضّلتُكِ ! ولولا ما تضمّنته أرض كربلاء لَما خلقتُكِ ولا خلقتُ البيت الذي افتخرتِ به ! !

فقرّي واستقرّي ، وكوني دَنِيّاً متواضعاً ، ذليلاً مهيناً ، غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلّا سُخْتُ بكِ وهويتُ بكِ في نار جهنّم !

أقول : لا استبعاد ولا إشكال في هذا الأمر ، فقد شُرِّفت أرض كربلاء بضمّها لجسد سيّد الشهداء الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام ، ولمّا كان المؤمن أعظم حرمة من الكعبة ـ كما جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام الرضا عليه السلام ؛ آنظر : المعجم الكبير ١١ / ٣١ ح ١٠٩٦٦ ، شعب الإيمان ٣ / ٤٤٤ ح ٤٠١٤ ، مستدرك الوسائل ٩ / ٣٤٣ ح ١١٠٣٩ ـ ، فكيف بسبط رسول الله وريحانته وسيّد شباب أهل الجنّة ؟ !

فإنّ مراد الإمام الصادق عليه السلام من ذلك هو إبراز فضيلة أرض كربلاء لا إلغاء فريضة الحجّ ؛ وهذا ما يؤكّده الحديث المروي في كامل الزيارات : ١٥٩ ، بالإسناد عن يونس ، عن الإمام عليّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام ، أنّه قال : «من زار الحسين فقد حجّ واعتمر .

قلت : تُطرح عنه حجّة الإسلام ؟

قال : لا ، هي حَجّة الضعيف حتّىٰ يقوىٰ ويحجّ إلىٰ بيت الله الحرام . . .» .

(١) الدرّة النجفية : ١٠٠ .

والدرّة النجفية : أُرجوزة مشهورة من سيّدة الأراجيز في الفقه ، لم يُسبق إلىٰ مثلها ، عُني بها كثير من الفقهاء من بعده ، وطبعت غيرة مرّة ، وعليها شرح الميرزا

وفي حديثِ كربلا والكعبة لكـربلا بـانَ عـلوّ الرتـبة

وكذا حديث أنس عن النبيّ ﷺ : **«ما من مؤمن إلّا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه ، فإذا مات بكيا عليه»**[١] **انتهىٰ .**

وقوله ﷺ في حديث آخر : **«إذا مات المؤمن ناحت عليه البقاع التي كان يشغلها بعبادة الله تعالىٰ»**[٢] . .

. . إلىٰ كثير من أمثال هذه السنن ، جاءت علىٰ نمط كلام العرب في التمثيل والتصوير ، وكم لها في كلامهم من نظير !

قال أُميّة بن أبي الصلت[٣] :

محمود الطباطبائي البروجردي مطبوع في مجلّدين .

أنظر : أعيان الشيعة ١٠ / ١٦٠ .

وبحر العلوم هو : السيّد مهدي بن مرتضىٰ بن محمّد البروجردي الطباطبائي ، وُلد في كربلاء سنة ١١٥٥ ، وتوفّي سنة ١٢١٢ ، كان ﷺ سيّد علماء عصره وزمانه ، وعلّامة دهره وأوانه ، فقد أذعن له جميع علماء عصره ومن تأخّر عنه بعلوّ المقام وسموّ المكانة .

أنظر : مستدرك الوسائل ٢٠ / ٤٤ (الخاتمة ج ٢) ، الكنىٰ والألقاب ٢ / ٦٧ .

(١) سنن الترمذي ٥ / ٣٥٤ ح ٣٢٥٥ ، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ٤١١ في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ **فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظَرين** ﴾ سورة الدخان ٤٤ : ٢٩ ، كنز العمّال ٢ / ١٤ ح ٣٠٤١ .

(٢) أنظر : الدرّ المنثور ٧ / ٤١٢ .

(٣) ديوان أُميّة بن أبي الصلت : ٣٧ ، وأنظر : لسان العرب ٢ / ٣٤٩ مادّة « جمد » .

وأُميّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت ، من أهل الأندلس .

كان أديباً فاضلاً ، حكيماً ، منجّماً ، مات في المُحرّم سنة ٥٢٩ بالمهدية من بلاد القيروان ، وهو صاحب فصاحة بارعة ، وعلم بالنحو ، والطبّ .

ولابن أبي الصلت من التصانيف : كتاب الأدوية المفردة ، كتاب تقويم الذهن في

سبحانه ثمّ سبحاناً يَعود له وقَبْلَنا سَبّحَ الجُوديُّ والجُمُدُ

فإنّ الجودي والجمد جبلان[١]، والمراد أنّهما يسبّحان الله بلسان تكوينهما، راسخين شامخين، يدلّان علىٰ الصانع الحكيم وعلىٰ قدرته وعظمته.

فكأنّهما ينزّهان الله عزّ وجلّ عمّا لا يجوز عليه، علىٰ حدّ قوله تعالىٰ: ﴿ **تسبّح له السمٰوات السبع والأرض ومن فيهنّ** ﴾[٢].

وهذا النوع من التسبيح في القرآن العظيم كثير كما لا يخفىٰ.

وقال قيس بن الملوّح[٣]:

المنطق، كتاب الرسالة المصرية، كتاب ديوان شعره كبير...

آنظر: معجم الأدباء ٢/٣١٧.

(١) الجوديُّ: موضع وقيل جبل، وقال الزجّاج: هو جبل بآمد، وقيل: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **وغيض الماء وقُضي الأمر واستوت علىٰ الجودي** ﴾ سورة هود ١١: ٤٤.

آنظر: لسان العرب ٢/٤١٣ مادّة «جود».

والجمد: جبل علىٰ ليلة من المدينة مرّ عليه الرسول الأكرم ﷺ وقال: «**هذا جُمدان سَبق المُفَرِّدون**».

آنظر: لسان العرب ٢/٣٤٩ مادّة «جمد».

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٤٤.

(٣) ديوان مجنون ليلىٰ: ١٩٢ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وقيس بن الملوّح: هو ابن مزاحم العامري، توفّي سنة ٦٨ هـ، شاعر غزل، من المتيّمين، من أهل نجد، لم يكن مجنوناً وإنّما لقّب بذلك لهيامه في حبّ ليلىٰ بنت سعد.

قيل في قصّته: نشأ معها إلىٰ أن كبرت وحجبها أبوها، فهام علىٰ وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيُرىٰ حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلىٰ أن وُجد ملقىً بين أحجار وهو ميّت فحُمل إلىٰ أهله.

آنظر: الأغاني ٢/٤٩.

وأجهشتُ للتَّوْباذِ[١] حين رأيتُه وكبّر للرحمٰن حين رآني
وأذريتُ دمعَ العين لمّا أتيتُه ونادىٰ بأعلىٰ صوته فدعاني
فقلتُ له: أين الّذين رأيتُهم بجنبك في خفضٍ وطِيبِ زمانِ؟!
فقال: مضوا وآستودعوني بلادهم ومن ذا الذي يبقىٰ علىٰ الحدثانِ؟!

ضرورة أنّه لا سؤال هنا، ولا جواب، ولا تكبير، ولا نداء، ولا دعاء، وإنّما هي مجازات علىٰ سبيل التمثيل والتصوير.

ومثله قول بعضهم[٢]:

وقالت له العينان: سمعاً وطاعةً وحدّرتا كالدرّ لمّا يثقّبِ

وقال مزاحم العُقيلي[٣]:

بكت دارُهم من أجلهم فتهلّلت دموعي فأيّ الجازعين ألوم؟!

وكانوا إذا أَخبَروا عن عظم المصاب بموت الواحد من عظمائهم يقولون: بكته السماء والأرض، وأظلمت لفقده الشمس والقمر..

---

(١) التَّوْباذ: جبل بنجد؛ آنظر: معجم البلدان ٢/٦٤ رقم ٢٦٦٩.

(٢) هذا البيت ورد في معجم لسان العرب في معرض شرح كلمة (قول) تحت لفظ: و قال آخر. و لم يذكر اسم الشاعر [الناشر]

(٣) آنظر: الأغاني ١٩/١٠٥. ومزاحم بن الحارث، او: مزاحم بن عمرو بن مرّة بن الحارث من بني عقيل ابن كعب بن عامر بن صعصعة.

شاعر غزل بدوي من الشجعان، كان معاصراً لجرير والفرزدق، وسئل كلّ منهما: أتعرف أحداً أشعر منك؟ فقال الفرزدق: لا، إلّا أنّ غلاماً من بني عقيل يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات فيجيد. وأجاب جرير بما يشبه ذلك. وقيل لذي الرمّة: أنت أشعر الناس! فقال: لا، ولكن غلام من بني عقيل يقال له مزاحم، يسكن الروضات، يقول وحشياً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله.

آنظر: خزانة الأدب ٦/٢٥٦، الأعلام ٧/٢١١.

قال جرير[١] يرثي عمر بن عبد العزيز:

الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا

أي إنّها مع طلوعها باكية ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر؛ لأنّ عظم مصيبتها بك قد سلبها نورها.

وبالجملة: فإنّ باب المجاز علىٰ سبيل التمثيل من أوسع أبواب البلاغة في لسان العرب، كانوا يرصّعون به خطبهم وأشعارهم وحِكمهم وأمثالهم..

فمن أمثالهم السائرة[٢]:

قال الجدار للوتد: لِمَ تشقّني؟!

قال الوتد: سَلِ الذي يدقّني!

.. إلىٰ كثير من أمثال هذا.

والقرآن إنّما نزل علىٰ لغتهم وفي أساليبهم، وما تحدّىٰ العرب إلّا علىٰ طرائقهم وفي مجازاتهم وحقائقهم، فبخعوا لآياته، وعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله[٣].

فآية الميثاق والإشهاد علىٰ أنفسهم إنّما جاءت من هذا الباب، كما

---

(١) ديوان جرير: ٢٣٥.

وجرير بن عطية بن حذيفة بن بدر الخطفي الكلبي اليربوعي، من تميم (٢٨ - ١١٠ هـ)، أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كلّه يناضل شعراء زمنه ويساجلهم، وكان هجّاءً مرّاً، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، وهو من أغزل الناس شعراً.

آنظر: وفيات الأعيان ١/ ٣٢١ رقم ١٣٠، الأعلام ٢/ ١١٩.

(٢) المنتشرة بين الناس و المتوارثة بين الأجيال [الناشر]

(٣) إشارة إلىٰ قوله عزّ وجلّ: ﴿وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا علىٰ عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ سورة البقرة ٢: ٢٣.

جاء غيرها من آيات الفرقان وصحاح السُنّة وسائر كلام العرب.

والحمد لله الذي دلع لسان الصباح بنطق تبلّجه، وسرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، ودلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته[1].

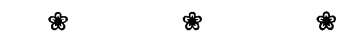

(١) هذا المقطع مقتبس من دعاء الصباح للإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ آنظر: بحار الأنوار ٩٤/٢٤٣.

المقام الثاني

في الاستشهاد بالآية الكريمة على نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة أئمّتنا عليهم السلام

وهذا شيء لم يكن مدلولاً عليه بظاهر الآية لولا ما رويناه في تفسيرها عن الإمام الصادق عليه السلام إذ قال: «كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية، ولرسوله بالنبوّة، ولأمير المؤمنين والأئمّة بالإمامة، فقال: ﴿ألست بربّكم﴾ ومحمّد نبيّكم وعليٌّ إمامكم والأئمّة الهادون أئمّتكم ﴿قالوا بلىٰ﴾»..الحديث[1].

وقول الصادق عليه السلام حقٌّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لوجوب عصمته عقلاً ونقلاً، وهو إمام العترة الطاهرة في عصره، لا يضلّ من تمسّك به، ولا يهتدي إلىٰ الله من ضلّ عنه، أنزله النصُّ منزلةَ الكتاب، وجعله قدوته لأُولي الألباب، وهذا أمر مفروغ عنه عندنا، والحمّد لله ربّ العالمين[2].

---

(١) تفسير القمّي ١/٢٤٨، ومؤدّاه في: تهذيب الأحكام ٣/١٤٦ ح ٣١٧ باب صلاة الغدير.

(٢) نعم، إنّ مسألة عصمة الأئمّة عليهم السلام عندنا مفروغ منها، وذلك بدلالة آيات الكتاب العزيز والأحاديث النبوية الشريفة المتواترة، والتي تُظهِر هذا الأمر جليّاً واضحاً، لذا فما علىٰ المنصف إلّا أن يراجع هذه الآيات والأحاديث لكي يزيل عن عينيه الغشاوة التي منعته من رؤية الحقّ وأهله.

■ فمن الآيات القرآنية التي تدلّ علىٰ إمامتهم وعصمتهم عليهم السلام:

١ ـ آية التطهير: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم

﴿ تطهيراً ﴾ سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ .

والمراد بأهل البيت في هذه الآية : عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وفق ما جاء به الحديث الشريف .

أنظر : صحيح مسلم ٧/ ١٣٠ ، سنن الترمذي ٥/ ٣٢٨ ح ٣٢٠٥ و ٣٢٠٦ ، المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٥١ ح ٣٥٥٨ و ٣٥٥٩ ، المعجم الكبير ٣/ ٥٣ ح ٢٦٦٤ ، الدرّ المنثور ٦/ ٦٠٣ ـ ٦٠٥ ، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٤٦ .

٢ ـ آية المودّة : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً إنّ الله غفوراشكور ﴾ سورة الشورىٰ ٤٢ : ٢٣ .

فقد عيّن النبيّ صلى الله عليه وآله المقصودين بـ «القربىٰ» في هذه الآية ، وهم : عليٌّ والزهراء وولداهما عليهم السلام ، ولو لم يكونوا طاهرين مطهّرين معصومين لَما أمر الله تعالىٰ بمودّتهم ، ولَكان أمره عبثاً ، تعالىٰ عن ذلك علوّاً كبيراً .

أنظر : مسند أحمد ١/ ٢٢٩ ، المعجم الكبير ٣/ ٤٧ ح ٢٦٤١ و ج ١١/ ٣٥١ ح ١٢٢٥٩ ، المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٨٨ ح ٤٨٠٢ ، تفسير الطبري ٢٥/ ١٦ ـ ١٧ .

٣ ـ آية المباهلة : ﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفُسَنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين ﴾ سورة آل عمران ٣ : ٦١ .

وهذه الآية من الآيات الدالّة علىٰ إمامة أئمّتنا الأطهار عليهم السلام ، وعلىٰ أنّهم بمرتبة النبيّ صلى الله عليه وآله ، بل ساوتهم به إذ جمعت أنفسهم مع نفسه ، فقال تعالىٰ : ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ ، وقصّة هذه الآية معروفة إذ خرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلىٰ مباهلة نصارىٰ نجران بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وقد تواترت الأخبار في نقلها .

أنظر : مسند أحمد ١/ ١٨٥ ، صحيح مسلم ٧/ ١٢٠ ، سنن الترمذي ٥/ ٥٩٦ ، المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٦٣ ح ٤٧١٩ ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧/ ٦٠ .

■ أمّا بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة جدّاً ، ولكنّنا ـ روماً للاختصار ـ سنورد أشهر حديثين ، وهما :

١ ـ حديث السفينة : «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ،

أمّا أخذ الميثاق هنا لرسول الله بالنبوّة، ولأوصيائه الاثني عشر بالإمامة، فإنّما هو على حدّ ما ذكرناه من أخذ الميثاق لله عزّ وجلّ بالربوبية[1].

﴿ ومن تخلّف عنها هلك ».

وهو حديث متواتر فيه دلالة واضحة على إمامة أئمّتنا وعصمتهم بالمعنى الذي يقوله علماؤنا، أي أنّ الذي يريد أن ينجو من الهلاك عليه بالتمسّك بهؤلاء لأنّهم سفن النجاة.

أنظر: المستدرك على الصحيحين ٢/٣٧٣ ح ٣٣١٢، تاريخ بغداد ١٢/٩١ ح ٦٥٠٧، مجمع الزوائد ٩/١٦٨، الصواعق المحرقة: ٣٥٢، المعجم الكبير ٣/٣٧ ح ٢٦٣٦، المعجم الصغير ١/١٣٩، الدرّ المنثور ٣/٣٣٤.

٢ ـ حديث الثقلين: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما!».

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة والمعنى واحد، وهو من الأحاديث الدالّة دلالة قاطعة لا تقبل الشكّ والترديد على عصمة أئمّتنا الأطهار عليهم السلام، إذ قرن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله القرآن بالعترة، وأخبر أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض.

أنظر: صحيح مسلم ٧/١٢٢، مسند أحمد ٥/١٨١ ـ ١٨٢، سنن الترمذي ٥/٦٢٢ ح ٣٧٨٨، المستدرك على الصحيحين ٣/١٦٠ ح ٤٧١١ و ج ٣/٦١٣ ح ٦٢٧٢، المعجم الكبير ٥/١٦٦ ح ٤٩٦٩ و ج ٥/١٨٢ ح ٥٠٢٥ و ٥٠٢٦ و ج ٥/١٨٣ ح ٥٠٢٨، الدرّ المنثور ٢/٦٠.

(١) أوّل ما أخذ الله الميثاق له بالربوبية من الأنبياء عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ﴾ سورة الأحزاب ٣٣: ٧، فذكر جملة من الأنبياء، ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامي فقال: ﴿ ومنك ﴾ يا محمّد، فقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه أفضلهم، ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء بالإيمان له، وعلى أن ينصروا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال ـ سورة آل عمران ٣: ٨١ ـ: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيّين لَما آتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لِما معكم ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ لتؤمننّ به ولتنصرنّه ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، وأخبروا أُممكم بخبره وخبر وليّه من الأئمّة عليهم السلام.

أنظر: تفسير القمّي ١/٢٤٨.

فإنّه ـ وله الحمد والمجد ـ أقام علىٰ نبوّة نبيّنا، وإمامة أئمّتنا من الأدلّة القاطعة، والبراهين الساطعة، والآيات، والبيّنات، والحجج البالغة المتظاهرة ما لا يتسنّىٰ جحوده، ولا تتأتّىٰ المكابرة فيه، ولات حين مناص.

فلو فُرض أنّ الله عزّ سلطانه سأل بني آدم ـ بعد تناصر تلك البيّنات ـ وأشهدهم علىٰ نبوّة نبيّنا وإمامة أوصيائه، لَما وسعهم إلّا الإقرار لهم والشهادة بالحقّ طوعاً وكرهاً.

ألا ترىٰ البرّ والفاجر، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، والناصب والمارق، قد بخعوا لفضلهم، وطأطأوا لشرفهم، فسطروا الأساطير في مناقبهم، وملأوا الطوامير من خصائصهم، وتلك صحاح أعدائهم تشهد لهم بالحقّ الذي هم أهله ومعدنه، ومأواه ومنتهاه[1].

وتفصيل الكلام في هذا المقام لا تسعه هذه العجالة، فاكتفِ الآن بهذه الإشارة، فإنّك والحمد لله من الأحرار الأبرار، من أهل البصائر الثاقبة.

ولعلّ الله يوفّقني للتفصيل في كتاب أُفرده لأعلام النبوّة ودلائل الإمامة؛ لنستقصي الكلام في هذا المقام، وما توفيقي إلّا بالله.

(١) آنظر مثلاً: صحيح مسلم ٧/١١٩ ـ ١٢٤، مسند أحمد ١/٧٧ و ٩٩ و ١١٥ و ١١٨ و ٣٦٨ و ٣٣١، سنن ابن ماجة ١/٤٢ ـ ٤٤، سنن الترمذي ٥/٥٩٠ ـ ٦٠١.

[الإمامة والولايـة]

وسألتني عن قوله تعالىٰ: ﴿ **حُرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع إلّا ما ذكّيتم وما ذُبح علىٰ النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وآخشونِ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفور رحيم** ﴾[1] . .

فقلتَ: هذه آية واحدة مسوقة من أوّلها إلىٰ آخرها لبيان الحكم الشرعي، أعني تحريم هذه الخبائث إلّا علىٰ من اضطرّ في مخمصة غير متجانف لإثم، فإن الضرورات تبيح المحظورات.

وإذا كانت مسوقة لبيان الأحكام، فأيّ ربط لها بتعيين الإمام؟!

ولِمَ لا يكون المراد من قوله فيها عزّ من قائل: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ إكمال الأحكام من حلال وحرام، علىٰ ما يقتضيه سياق الكلام؟!

فالجواب:

إنّ من نظر في هذه الآية نظراً سطحياً وجدها في بادئ بدء لا تأبىٰ

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٣.

الحمل على ما ذكرتموه، لكن من أنعم[1] النظر فيها، فأعطى التأمّل حقّه، علم أنّ المأثور في تفسيرها عن أئمّة الهدىٰ من آل محمّد ﷺ أليق بسياقها الأخير.

فإنّها لم تبقَ على السياق الأوّل؛ لأنّ الله عزّ سلطانه بعد أن حرّم فيها تلك الخبائث، وأكّد تحريمها بقوله عزّ من قائل: ﴿ذلكم فسق﴾، قال على سبيل الاعتراض: ﴿اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وآخشونِ﴾..

فربط بهذا على قلوبهم، وثبّت أقدامهم، وأنهضهم إلىٰ الأخذ بأحكام الدين، وشحَذَ عزائمهم على إقامة شرائع الإسلام، ونفخ فيهم من روح الطمأنينة والسكينة ما لا يأبهون معه بالكفّار.

وكان بعض المسلمين قد رهقهم الخوف من مخالفة الأُمم بما تعبّدهم الله به من حلاله وحرامه وسائر شرائعه وأحكامه، وربّما خافوا من الكفّار أن يلغوا تلك الشرائع بعد رسول الله ﷺ، وكان الكفّار يطمعون في ذلك، فأراد الله تبارك وتعالىٰ تأمين المسلمين علىٰ دينهم، فبشّرهم بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم﴾..

أي بما أنعمت به عليكم من السطوة القاهرة، والدولة المتّسقة، فأصبح الكفّار بها أذلّاء خاسئين، ويئسوا بسببها من تغلّبهم علىٰ دينكم، فلن يطمعوا بعد هذا في الاستيلاء عليكم أبداً..

وحيث بلغتم هذه المثابة من العزّ والمنعة فلا تخشوهم، أي لا تخافوا من مخالفتكم إيّاهم في هذه الشرائع وإن نقموها عليكم،

---

(١) أَنْعَمَ النظر في الشيء: إذا أطال الفكرة فيه؛ انظر: لسان العرب ١٤/٢١٣ مادّة نعم.

وآخشوني في ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ، فخذوا بما أمرتكم به ، وذروا ما نهيتكم عنه ولو كره المشركون .

وفي هذا السياق نفسه جاء قوله تعالىٰ : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ، أي بتعيين من يهيمن علىٰ الدين بعد خاتم النبيّين والمرسلين ، فيقوم مقامه في حفظ بيضته ، ونشر دعوته ، وقطع دابر من يبتغي السوء به . .

﴿ **وأتممتُ عليكم نعمتي** ﴾ باختيار عليٍّ لهذه المهمّة ، فإنّه القوي الأمين ، الذي لا تأخذه في حفظ الدين وأهله لومة لائم ، ولا سطوة معتدٍ غاشم . .

﴿ **ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ قيّماً حكيماً بأُصوله وفروعه ، جامعاً مانعاً ، عزيزاً بعزّة قَوّامه وإمامه بعد النبيّ ﷺ ، فلا يطمع فيه طامع ، ولا يرمقه من أعدائه إلّا بصرٌ خاشع .

وبعبارة أُخرىٰ : لا ريب في أنّ الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ، أعني تخلّل الجمل الأجنبية بين كلامه المتناسق ، فيزده ذلك بلاغةً إلىٰ بلاغته ، كما نصّ عليه الأئمّة من علماء البلاغة ، وآستشهدوا عليه بكثير من الآيات المحكمة والسنن الصحيحة وكلام العرب في الجاهلية ، والتفصيل في باب الإيجاز والإطناب والمساواة من علم المعاني[1] .

وعليه : فإنّ قوله تعالىٰ : ﴿ **اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم** ﴾ قد دخل في هذه الآية علىٰ سبيل الاعتراض ، كما صرّح به الزمخشري في

---

(١) الإيجاز : أداء المقصود بأقلّ من عبارة المتعارف ، والإطناب : أداؤه بأكثر منها ، والمساواة : هي ألّا يزيد اللفظ علىٰ المعنىٰ فتكون وسطاً بين الإيجاز والإطناب . آنظر مثلاً : المطوّل : ٢٨٢ وما بعدها .

تفسيرها من «الكشّاف»[١]، والحكمة في إدخاله تأمينُ المسلمين على دينهم كما بيّنّاه.

وفي سياق هذا التأمين قال لهم: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾، يعني بجعل الولاية عليه وعليكم بعد النبيّ ﷺ لمن يقوم مقامه في حفظ البيضة، والذود عن حياض المسلمين بكلّ رعاية حكيمة، وكلّ عناية عظيمة.

ونحن مهما شككنا فلا نشكّ في عصمة أئمّتنا[٢]، وأنّ عندهم علم الكتاب[٣]، وما من ريب لأحد في أنّهم أعلم الناس بمفاده..

وقد تواترت نصوصهم الصريحة بأنّ قوله تعالىٰ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ إنّما نزلت في إمامة أمير المؤمنين يوم غدير خمّ، الثامن عشر من ذي الحجّة، سنة عشر للهجرة، والنبيّ ﷺ قافل من حجّة الوداع بمن كان معه من عشرات الألوف من المسلمين، قبل وفاته بسبعين يوماً أو أكثر بقليل[٤]..

فكمل الدين في خمّ بإمامة الوصي، كما بدأ في حِراء ببعثة النبيّ ﷺ.

---

(١) الكشّاف ١/٥٩٣.

(٢) انظر أوّل المقام الثاني المارّ آنفاً قبل صفحات، وهامشه رقم ٢.

(٣) آنظر تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**ومن عنده علم الكتاب**﴾ سورة الرعد ١٣: ٤٣، الكافي ١/٢٥٤ ـ ٢٥٦ ح ٦٠٣ ـ ٦٠٨، شواهد التنزيل ١/٣٠٧ ـ ٣١٠ ح ٤٢٢ ـ ٤٢٧.

(٤) آنظر: الإرشاد ١/١٧٥ ـ ١٧٧، تهذيب الأحكام ٣/١٤٣ ح ٣١٧، الكافي ١/٣٢٧ ضمن ح ٧٦١، الاحتجاج ١/١٣٣ ـ ١٦٢، الكشّاف ١/٥٩٣، مجمع البيان ٣/٢٦٣.

هـذا هو المعلوم بحكم الضـرورة من مذهـب الأئمّـة من أهل البـيت ـ وأهل البيت أدرىٰ بالذي فيه ـ، وهذا هو الأليق بالسياق، والحمد لله علىٰ الوفـاق.

علىٰ إنّا لا نعلم ـ كما يشهد الله ـ بأنّ قوله تعالىٰ: ﴿ **حُرّمت عليكم الميتة** ﴾ وما بعده إلىٰ قوله: ﴿ **غفور رحيم** ﴾ كلّ ذلك آية واحدة!

ومن أين اليقين بهذا مع العلم القطعي الضروري بأنّ القرآن الحكيم لم يُرتِّب في الجمع علىٰ حسب ترتيبه في النزول؟!

ولماذا لا يجوز أن يكون قوله تعالىٰ: ﴿ **اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **ورضيت لكم الإسـلام ديناً** ﴾ آية مستقلّة بنفسـها لا ربط لها بغيرها، نزلت علىٰ حدة يوم الغدير، ثمّ أقحمها الناس علىٰ عهد عثمان وزجّوها في وسط تلك الآية الكريمة؛ لغرض لهم، أو لجهل بهم، أو لغير ذلك؟!

وأنت تعلم أنّ المأثور في تفسيرها عـن أئـمّتنا عليهم السلام يـوافـق كـون الجميع آية واحدة كما بيّـنّـا، ويوافـق كـونه آيـتين[1]، والحـمد لله عـلىٰ سطوع البرهان بأجلىٰ بـيان.

(١) أنظر: تفسير القمّي ١ / ١٧٠، مجمع البيان ٣ / ٢٦٤.

[لِمَ لَمْ يصرّح القرآن بخلافة الإمام عليّ ؟ !]

ثمّ سألتني فقلت: لماذا لم يصرّح القرآن المبين تصريحاً واضحاً بخلافة أمير المؤمنين، بحيث لا يُبقي مجالاً للتأويل، فتنقطع الخصومة والمنازعة في الإمامة بسبب ذلك من غير حاجة إلىٰ التماس الأحاديث لإثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ؟ !

والجواب يحتاج إلىٰ تمهيد مقدّمة، لها أثرها في تقريبه إلىٰ الأذهان، نقتبسها من (فصولنا المهمّة) و (مراجعاتنا الأزهرية)[1].

ومجمل القول فيها: إنّ العرب عامّة، وقريشاً خاصّة، كانت ترىٰ أنّ أمير المؤمنين وترها وسفك دماءها بسيفه، وكشف القناع منابذاً لها، حيث جاهدها في سبيل الله، وقهرها في إعلاء كلمة الله، وقام علىٰ ساقه في نصرة الله ورسوله حتّىٰ جاء الحقّ وزهق الباطل علىٰ رغم كلّ عاتٍ كفور من طغاة العرب وطَغامهم[2].

وقد عصبوا به كلّ دم أراقه الإسلام علىٰ عهد النبوّة، سواءً كان بسيف أمير المؤمنين أم بسيف غيره.

جروا في ذلك علىٰ عاداتهم في أخذ ثاراتهم، إذ كانوا يعصبون دماءهم بالزعيم نفسه، فإذا فاتهم الزعيم عصبوها بأمثل عشيرته وأفضل أهل بيته، وعليٌّ كان عندهم وعند غيرهم أمثل الهاشميّين

---

(١) آنظر: الفصول المهمّة: ١٣٥، المراجعات: ٤٤٨ مراجعة ٨٤.

(٢) الطَغامُ ـ الواحد والجمع في ذلك سواء ـ: أراذل الناس وأوغادهم؛ آنظر: لسان العرب ٨/ ١٦٩ مادّة «طغم».

برسول الله ﷺ وأفضلهم من بعده، لا يدافع ولا ينازع في ذلك أبداً، فهو الذي يجب عندهم أن تُعصب به تلك الدماء بأجمعها، ولذا عصبوها بـه!

فتربّصوا به الدوائر، وقلّبوا له الأُمور، وأضمروا له ولذرّيّته كلّ سوء، ووثبوا عليهم في كلّ جيل من أجيال هذه الأُمّة العربية كلّ وثبة، وكان ما كان ممّا طار في الأجواء، وطبّقت فجائعه وفظائعه الأرض والسماء.

على إنّ العرب عامّة، وقريشاً بالخصوص، كانوا ينقمون من عليٍّ شدّة وطأته، ونكال وقعته، إذ كان شديد الوطأة على أعداء الله، عظيم الوقيعة في مَن يهتك حرمات الله، كما قالت سيّدة نساء العالمين في خطبة لها عليها السلام: «**وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا والله نكيرَ سيفه، وشدةَ وطأته، ونكالَ وقعته، وتنمُّرَه في ذات الله**»[1].

ومن المعلوم أنّ العرب كانوا يرهبون من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ويخشون عدله في الرعية، ومساواته بين أفراد البرية، ولم يكن لأحد فيه مطمع، ولا لأحد عنده هوادة، فالناس عنده في حقوقهم سواء، القوي العزيز عنده ضعيف ذليل حتّى يأخذ الحقّ منه لصاحبه، والضعيف الذليل عنده قوي عزيز حتّى يأخذ له بحقّه[2]، و ﴿**الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾[3]..

فمتى يرضيهم هذا العدل ﴿**ومن أهل المدينة مردوا على النفاق**

---

(١) معاني الأخبار: ٣٥٥.

(٢) أنظر: نهج البلاغة: ٨٠ رقم ٣٧.

(٣) سورة التوبة ٩: ٩٧.

لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾[١]، وفيها بطانة لا يألونه خبالاً[٢]؟!

فهل يألفون الوصي، أو يرِدون منهله الروي؟!

كلّا، بل اتّفقوا على جحوده، وأجمعوا على مكاشفته بكلّ صراحة!

وكانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله[٣]، حيث بلغ ـ في علمه وعمله ونصحه وإخلاصه وحسن بلائه ـ رتبة عند الله ورسوله تقاصرت عنها الأقران، ونال من الله ورسوله ـ بخصائصه من سوابقه ولواحقه ـ منزلة قد انقطعت دونها المطامع.

وبذلك دبّت عقارب الحسد له في قلوب المتنافسين من الزعماء وكبار القوم، فاجتمعوا على نقض عهده مهما كلّفهم الأمر، ومهما قاسوه من شدّة وعناء.

وكان العرب قد تشوّفوا[٤] إلى تداول الخلافة في قبائلهم، فأمضوا نيّاتهم على ذلك، وشحذوا عزائمهم للقيام به، فتبايعوا على صرف الخلافة ـ بعد النبيّ ﷺ ـ عن بني هاشم، مخافة أن لا تخرج عنهم إذا كان الخليفة الأوّل منهم.

وتصافقوا على جعلها من أوّل مرة بالاختيار والانتخاب؛ ليكون لكلّ

---

(١) سورة التوبة ٩: ١٠١.

(٢) مقتبس من قوله عزّ وجلّ: ﴿**لا تتّخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خَبالاً**﴾ سورة آل عمران ٣: ١١٨، والخَبال: الفساد، أي فيها جماعة لا تُقصِّر في إفساد أمره؛ آنظر: لسان العرب ٤/ ١٩ مادّة «خبل».

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ سورة النساء ٤: ٥٤، المفسَّرة به وذرّيّته المعصومين عليهم السلام.

(٤) اشتاف يشتاف اشتياقاً: إذا تطاول ونظر، وتشوّفت إلى الشيء: أي تطلّعت. آنظر: لسان العرب ٧/ ٢٣٨ مادّة «شوف».

قبيلة من قبائل العرب أمل في الوصول إليها ولو بعد حين.

وتلك مكيدة من ساسة العرب لم تهتد ساسة أُوربّا لمثلها أبداً، كادوا بها عليّاً وسائر الأئمّة من بني هاشم، حيث جمعوا بها قبائل العرب إليهم، وأفردوا بني هاشم عن جميع العرب، إلّا عن ثلّة من المخلصين.

ومن تتبّع شؤون قريش وسائر العرب على عهد النبيّ ﷺ يعلم أنّهم ما كانوا ليصبروا على حصر الخلافة في بيت مخصوص، ولا سيّما إذا كانت في بني هاشم، وخصوصاً إذا تقلّدها عليٌّ أمير المؤمنين!

وهيهات هيهات أن يصبروا على ذلك، وقد طمحت إليها الأطماع من جميع قبائلهم، وحامت عليها النفوس من كلّ أحيائهم..

وقد هزلت حتّى بدا من هزالها كلاها وحتّى استامها كلُّ مفلسِ[1]

على إنّ من ألَمّ بتاريخ قريش وسائر العرب في صدر الإسلام، يعلم أنّهم لم يخضعوا للنبوّة الهاشمية إلّا بعد أن تهشّموا ولم يبق فيهم من قوّة، فكيف يرضون في اجتماع النبوّة والخلافة في بني هاشم؟!

وقد قال عمر في كلام دار بينه وبين ابن عبّاس: إنّ قريشاً كرهت أنْ تجتمع فيكم النبوّة والخلافة فتجحفون على الناس[2]!

وبالجملة: فإنّ أُولئك الطَغام قد نزعوا أيديهم من يد الإمام، وطووا ضلوعهم على عناصر شتّى جيّاشة بالحقد عليه، متهافتين على جحوده، مسترسلين متتابعين متدفّقين في إطفاء نوره، وإكفاء إنائه، قد ركبوا رؤوسهم في ظلمه، متمادين موغلين ممعنين في الاستئثار بحقّه، لا يلوون

---

(١) جمهرة اللغة ٢/٨٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢/٥٣، تاريخ الطبري ٣/٢٨٩.

في ذلك علىٰ أحد، كما تمثّله سيرتهم معه بأجلىٰ المظاهر المحسوسة، لكن ﴿لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد﴾[١]!

إذا عرفت هذا كلّه، تعلم أنّ أمر الإمامة كان حرجاً إلىٰ الغاية، إذ إنّها من أُصول الدين، فلا بُدّ من تبليغها، ولا مناص عن العهد بها إلىٰ كفئها علىٰ كلّ حال.

وهنا الخطر والإشفاق من الهَرْج[٢] والمَرْج[٣]، لأنّ أُولئك البغاة كانوا يأبون تبليغها والعهد بها إلىٰ صاحبها كلّ الإباء، وكانوا يصدّون عن ذلك كلّ الصدود، وقد علم الله ما أضمروه من الفتنة في هذا السبيل، وما تأهّبوا وأعدّوا وتجهّزوا له من الوثبة إذا عهد بها النبيّ إلىٰ الوصيّ، وإن كلّفتهم الوثبة ما كلّفتهم، ولزمهم فيها من اللوازم الباطلة ما لزمهم!

لذلك لم تقتضِ حكمته تعالىٰ، ولطفه بعباده، ورفقه بهم، أن يفاجئهم بآية من القرآن ينزلها نصّاً صريحاً جليّاً من كلّ الجهات علىٰ الوجه الذي ذكرتموه؛ لِما في نزولها علىٰ ذلك الوجه من الضرر والخطر!

لأنّها حينئذ ـ لا محالة ـ تحرج أُولئك الأوغاد من أهل العَيْث والفساد، فتخرجهم علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ بثورة في الإسلام شعواء، فيها الخطر علىٰ الأُمّة، والتغرير بالإمام وبالنبيّ وبالدين كلّه، فروعه وأُصوله.

---

(١) سورة قَ ٥٠ : ٣٧.

(٢) الهَرْج : شدّة القتل وكثرته، وآختلاط الناس؛ آنظر : لسان العرب ١٥ / ٦٩ مادّة «هرج».

(٣) المَرْج : الفتنة المشكلة، والفساد؛ آنظر : لسان العرب ١٣ / ٦٥ مادّة «مرج».

فإنّهم متىٰ سمعوها ﴿ **جعلوا أصابعهم في آذانهم وآستغشوا ثيابهم وأصرّوا وآستكبروا استكباراً** ﴾[١] ؛ لأنّها تقطع خطّ الرجعة عليهم وتوجب يأسهم ممّا أجمعوا عليه ، فلا يبقىٰ لهم مطمع حتّىٰ في التمويه والتضليل ، المسمّىٰ عندهم وعند أوليائهم بـ: **التأويل** ، فيكون منهم بسبب يأسهم كلّ خطر علىٰ الدين وأهله .

وقد ظهرت بوادر ذلك ليلة العقبة إذ دحرجوا الدِباب[٢] ، ويوم الخميس[٣] إذ صدّوه ﷺ عن الكتاب .. ﴿ **ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلّا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾[٤] .

---

(١) سورة نوح ٧١ : ٧ .

(٢) آنظر : الخصال ٤ / ٤٩٩ ، الاحتجاج ١ / ١٢٧ ـ ١٣٢ ، مجمع البيان ٥ / ٨٤ .
والدِباب ، واحداها : دَبّة : الكَثِيب من الرمل ؛ آنظر : لسان العرب ٤ / ٢٧٨ مادّة « دبب » .

(٣) إشارة إلىٰ يوم الخميس في مرض رسول الله ﷺ قبيل وفاته ، حين طلب كتفاً ودواة من الحاضرين فقال : « **هلمّ اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده** » .
فقال عمر : إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله !
فاختلف من كان في البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قرّبوا يكتب لكم النبيّ كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ ﷺ قال رسول الله : « **قوموا !** » .
فكان ابن عبّاس يقول : إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم .
آنظر تفصيل ذلك أو مضمونه في : صحيح البخاري ٧ / ٢١٩ ح ٣٠ و ج ٩ / ٢٠١ ح ١٣٤ ، صحيح مسلم ٥ / ٧٥ ، مسند أحمد ١ / ٢٢٢ .
وقد استوعب السيّد شرف الدين ﷺ هذه القضية ببحث مفصّل في كتابيه : النصّ والاجتهاد : ١٤٨ ـ ١٦٣ ، الفصول المهمّة : ١٤٤ ـ ١٤٨ ؛ فراجع .

(٤) سورة التوبة ٩ : ٧٤ .

لهذا ولغيره لم تقتضِ حكمة الله تعالىٰ أن يعيِّن الإمام بالآية التي نوهّتم بها، وإنّما اقتضت الحكمة تعيينه بآيات لم تكن علىٰ الوجه الذي يحرج أُولئك المعارضين.

وقد أمر الله نبيّه ﷺ أن يعهد بالإمامة إلىٰ عليٍّ عليه السلام علىٰ وجه يراعي فيه الحكمة، ويتحرّىٰ به المطابقة لمقتضىٰ تلك الأحوال.

فلم يألُ سيّد الأنبياء والحكماء في ذلك جهداً، ولم يدّخر فيه وسعاً، وقد استمرّ في بثّ هذه الروح القدسية بأساليبه الحكيمة العظيمة ثلاثاً وعشرين سنة، منذ بُعث بالحقّ إلىٰ أن لحق بالرفيق الأعلىٰ.

إذ كان يورد نصوصه في ذلك متوالية متواترة، من مبدإ أمره إلىٰ انتهاء عمره، بطرق مختلفة في وضوح الدلالة علىٰ إمامة أخيه ووصيّه، حسبما فرضته الحكمة عليه؛ ومن تتبّع في ذلك سيرته أكبرَ حكمته ﷺ في أداء هذه المهمّة..

صدع بها أوّل بعثته قبل ظهور دعوته بمكّة، حين أنذر عشيرته الأقربين، علىٰ عهد بيضة البلد وشيخ الأباطح عمّه أبي طالب، في داره، فقال ﷺ لهم ـ وقد أخذ برقبة عليٍّ وهو أصغر القوم ـ: **«إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا»**[1].

ولم يزل بعدها يدلّل علىٰ خلافته ووصايته، تارة بدلالة المطابقة، وأُخرىٰ بالالتزام البيّن بالمعنىٰ الأخصّ.

مرّة يكون التدليل بالنصّ الصريح الجلي الغني عن كلّ أمارة وقرينة.

---

(١) تاريخ الطبري ١/٥٤٣، مناقب آل أبي طالب ٢/٣٢، وانظر: فضائل الصحابة ٢/٨٧١ ح ١١٩٦، شواهد التنزيل ١/٤٢٠ ح ٥٨٠.

ومرّة يكون بظهور اللفظ محفوفاً بالقرائن والأمارات القطعية، وقد يكون بمجرّد الظهور خالياً من القرائن.

تارة يختصّ عشيرته[١] بهذا التدليل، وتارة يختصّ به نساء أُمّهات المؤمنين[٢]، وربّما اختصّ به أولياء عليّ عليه السلام من المهاجرين كأبي ذرّ والمقداد وعمّار، ومن الأنصار كسلمان وأُبيّ وخزيمة وفروة بن عمر بن ودقة[٣].

وقد يختصّ به المنحرفين يومئذ عن عليّ، كبريدة وعمرو بن شاس الأسلميّين[٤]، ووهب بن حمزة[٥]، والأربعة الّذين تعاقدوا على شكايته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[٦].

وقد يختصّ به أُولات الفضل من نساء المهاجرين والأنصار، كأسماء بنت عميس[٧]، وأُمّ سليم، وأمثالهما.

وكثيراً ما نوّه به على منبره الشريف[٨]، وربّما تحدّث به مع بعض أصحابه في البقيع[٩]، وقد باح به يوم المؤاخاة[١٠]، ويوم سدّ الأبواب من

---

(١) آنظر الهامش السابق.

(٢) آنظر: فضائل الصحابة ٢/ ٧٢٠ ح ٩٨٦، مناقب آل أبي طالب ٢/ ٤٦.

(٣) آنظر: فضائل الصحابة ٢/ ٧٠٤ ح ٩٦٢ و ص ٧٦٢ ح ١٠٥٢ و ص ٨٤٦ ح ١١٦٢، مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للخوارزمي ـ: ١١٢ ح ١٢١، مناقب آل أبي طالب ٢/ ٣٢ و ٤٦، الاحتجاج ١/ ٢٩٧.

(٤) آنظر: فضائل الصحابة ٢/ ٧١٦ ح ٩٨١ و ص ٧٢٢ ح ٩٨٩ و ١٠٠٧.

(٥) آنظر: الإصابة ٦/ ٦٢٣ رقم ٩١٦٣.

(٦) آنظر: فضائل الصحابة ٢/ ٧٤٩ ح ١٠٣٥ و ١٠٦٠، البداية والنهاية ٥/ ٨٢.

(٧) آنظر: فضائل الصحابة ٢/ ٧٩٦ ح ١٠٩١.

(٨) آنظر: فضائل الصحابة ٢/ ٧٧١ ح ١٠٦٦.

(٩) مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للخوارزمي ـ: ٨٨ ح ٧٨.

(١٠) آنظر: فضائل الصحابة ٢/ ٧٤٠ ح ١٠١٩ و ص ٧٦٥ ح ١٠٥٥.

المسجد[١]، ويوم توجّهه إلىٰ تبوك[٢]، وباح به يوم الطائف[٣]، وفي كثير من مغازيه.

وحسبك نصّه يوم عرفات من حجّة الوداع[٤]، وصرّح الحقّ يوم الغدير عن محضه[٥]، وأسفر الصبح يومئذ لذي عينين كما قال أبو تمّام الطائي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ، من قصيدة له عصماء هي في ديوانه[٦]:

ويوم الغدير استوضح الحقّ أهلُه بفيحاء ما فيها حجاب ولا سترُ
يمدّ بضبعيه ويعلم أنّه وليٌّ ومولاكم فهل لكم خبرُ؟!

---

(١) آنظر: مسند أحمد ١/١٧٥ و ٣٣١، فضائل الصحابة ٢/٧٢٠ ح ٩٨٥.
(٢) آنظر: صحيح مسلم ٧/١٢٠، تاريخ الطبري ٢/١٨٣.
(٣) آنظر: مجمع الزوائد ٩/١٦٣، جواهر العقدين ٢٣٨.
(٤) آنظر: سنن الترمذي ٥/٥٩٤ ح ٣٧١٩، مسند أحمد ٤/١٦٤ ـ ١٦٥.
(٥) آنظر مثلاً: سنن الترمذي ٥/٥٩١ ح ٣٧١٣، مصنّف ابن أبي شيبة ٧/٥٠٣ ح ٥٥، مسند أحمد ١/١٥٢، المعجم الكبير ٣/١٧٩ ح ٣٠٤٩، مسند الشاشي ١/١٢٧ و ١٦٥ ـ ١٦٦ ح ١٠٦، العقد الفريد ٣/٣١٢، تاريخ بغداد ٨/٢٩٠، مناقب الإمام عليّ عليه السلام ـ للخوارزمي ـ: ١٣٥ ح ١٥٢.
(٦) ديوان أبي تمّام ١/٣٥٦ باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

وأبو تمّام هو: حبيب بن أوس بن الحارث، الشاعر المشهور، كان أوحد عصره في ديباجة لفظه ونصاعة شعره وحسن أُسلوبه، وله كتاب «الحماسة» الذي دلّ علىٰ غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره، وله مجموع آخر سمّاه «فحول الشعراء» جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلام.

وقال العلماء: خرج من قبيلة طيّئ ثلاثة، كلّ واحد مجيد في بابه: حاتم الطائي في جوده، وداود بن نصير الطائي في زهده، وأبو تمّام حبيب بن أوس في شعره.

كانت ولادة أبي تمّام سنة ١٩٠، وقيل: ١٨٨، وقيل: ١٧٢ بجاسم، وتوفّي بالموصل سنة ٢٣١، وقيل: إنّه توفّي في ذي القعدة، وقيل: في جمادى الأُولىٰ سنة ٢٢٨، وقيل: ٢٢٩، وقيل: في المحرّم سنة ٢٣٢.

آنظر: وفيات الأعيان ٢/١١ رقم ١٤٧.

فكـــان له جـهرٌ بـإثبات حـقّه وكان لهـم فـي بـزّهم حـقّه جـهرُ

وقال الكميت[١] ـ رحمه الله تعالىٰ ـ:

ويوم الدوح دوح غـدير خُـمّ أبـان له الخـلافة لو أُطـيعا

ولكـــنّ الرجـــال تـبايعوها فـلم أر مـثلها خـطراً مـبيعا

ولم أر مـثل ذاك اليـوم يـوماً ولم أر مـثله حـقّـاً أُضـيعا

وقال الله تعالىٰ: ﴿ **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأُمور حتّىٰ جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون** ﴾[٢].

بهذا الشكل الحكيم بلّغ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمـر الولايـة، وبـهذه الطـرق السائغة بثّها في أُمّته، تـدرّج فـيها بأحـاديثه المـختلفة وأسـاليبه المـتنوّعة تدريجاً تدريجاً عـلىٰ حسب مـقتضيات الأحـوال فـي مـقامات مـختلفة، ودواعي شتّىٰ، لم يفاجئهم دفعة واحدة بكلام يحرجهم ويسدّ عليهم أقطار التمويه، وآفاق التضليل، بل جرىٰ معهم علىٰ عادة الحكماء في استدراج المناوئ لهم في الرأي وتبليغه الأمر الذي يأباه.

---

(١) القصائد الهاشميات: ٧٩.

والكُميت هو: ابن زيد بن خُنَيس بن مجالد، شاعر مقدَّم، عالم بلغات العرب، خبير بأيّامها، من شعراء مُضر وألسنتها، والمتعصّبين علىٰ القـحطانية، المـقارنين المقارعين لشعرائهم، العلماء بالمثالب والأيام، المفاخرين بها، وكان في أيّام بني أميّة ولم يدرك الدولة العبّاسية، وكان معروفاً بالتشـيّع لبني هاشم، مشهوراً بذلك، وقصائده الهاشميّات من جيّد شعره ومختاره.

وُلد الكميت أيّام استشهاد الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام سنة ٦٠، ومات في سنة ١٢٦ في خلافة مروان بن محمّـد، وكان مبلغ شعره حين مات ٥٢٨٩ بيتاً.

آنظر: الأغاني ١٧/ ٣.

(٢) سورة التوبة ٩: ٤٨.

بهذا خفّض النبيّ ﷺ من غلوائهم[١]، وزجر أحناء طيرهم[٢]، ولو بادههم[٣] بالأمر دفعة واحدة لَما أَمِنَ من معرّتهم[٤]، فكأنّه خدّر بهذا الأُسلوب أعصابهم، فتدرّجوا معه بالقبول شيئاً فشيئاً، حتّىٰ كان يوم الغدير، فأعلن الأمر لتلك الجماهير، وما كان ليعلنه لولا أنّ الله أمره بذلك، وضمِن له العصمة من أذاهم بقوله عزّ من قائل: **﴿ يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾**[٥].

فجمع ﷺ بحكمته البالغة بين تعيين الإمام، وحفظ الأمن والنظام، وما كان المعارضون يحسبون أن يقف موقفه يوم الغدير أبداً.

فلمّا وقف هذا الموقف وأدّىٰ فيه عن الله ما أدّىٰ، رأوا أنّ معارضته ـ في آخر حياته وقد بخعت[٦] العرب لطاعته ـ لا تجديهم نفعاً، بل تجرّ عليهم الويلات؛ لأنّها توجب إمّا سقوطهم بالخصوص، أو سقوط الإسلام والعرب عامّة، فيفوتهم الغرض الذي كانوا يأملون، والمنصب الذي كانوا له

---

(١) الغُلواء؛ غُلَواءُ كلّ شيء أوّلُه وشِرَّته؛ آنظر: لسان العرب ١٠/ ١١٤ مادّة «غلا».

(٢) زجَرَ أحناء طيرهم: أي زجر نواحيهم يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً، ويراد بالطير: الخفّة والطيش.
آنظر: لسان العرب ٣/ ٣٧٣ مادّة «حنا».

(٣) بَدَهَهُ وبادَهَهُ بالأمر: فاجأه بالأمر وباغته به؛ آنظر: لسان العرب ١/ ٣٤٧ مادّة «بده».

(٤) المعرّة: الأذىٰ؛ آنظر: لسان العرب ١٣/ ١٤٠ مادّة «معر».

(٥) سورة المائدة ٥: ٦٧.

(٦) بخَعْتَ له: تذلّلتَ وأطعتَ وأقرَرْتَ وخضعتَ؛ آنظر: لسان العرب ١/ ٣٣٢ مادّة «بخع».

يعملون!

لهذا رأوا أنّ الصبر عن الوثبة أحجى، فأجمعوا على تأجيلها إلى وقتها بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا كان الأمر، وأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بما يضمرون، وأطلعه على ما سيكون[1].

لكنّ الدين لا بُدّ من إكماله، والنعمة لا بُدّ من إتمامها، والرسالة لا بُدّ من أدائها.. **﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة﴾**[2].. **﴿وما على الرسول إلّا البلاغ المبين﴾**[3].

نعم، عهد لوصيّه وخليفته من بعده، أن يتغمّدهم ـ حين يعارضونه ـ بسعة ذرعه، ويتلقّاهم بطول أناته، وأمره أن يصبر على استئثارهم بحقّه، وأن يتلقّى تلك المحنة بكظم الغيظ والاحتساب، احتياطاً على الإسلام، وإيثاراً للصالح العامّ.

وأمر الأُمّة بالصبر على تلك الملمّة، كما فصّلناه في كتاب «المراجعات»[4].

وحسبك ممّا صحّ من أوامره بذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث حذيفة ابن اليمان[5]: «**يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون**

---

(١) آنظر: الخصال ٤/٤٩٩، الاحتجاج ١/١٢٧ ـ ١٣٢، مجمع البيان ٥/٨٤.

(٢) سورة الأنفال ٨: ٤٢.

(٣) سورة المائدة ٥: ٩٩.

(٤) المراجعات: ٤٣٧ المراجعة ٨٢.

(٥) في ما أخرجه مسلم ص ١٢٠ من الجزء الثاني من صحيحه، ورواه أصحاب

بسُنّتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس » .

قال حذيفة : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟

قال : « **تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع له وأطع** »[1] .

ومثله قوله ﷺ في حديث عبدالله بن مسعود[2] : « **ستكون بعدي أثرة وأُمور تنكرونها** » .

قالوا : يا رسول الله ! كيف تأمر من أدرك منّا ذلك ؟

قال ﷺ : « **تؤدّون الحقّ الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم** » . انتهىٰ .

وكان أبو ذرّ يقول[3] : إنّ خليلي رسول الله ﷺ أوصاني أن أسمع

السنن كلّهم . منه ﷺ .

وآنظر : صحيح مسلم ٦ / ٢٠ كتاب الإمارة / باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن ، سنن البيهقي ٨ / ١٥٧ ، فتح الباري ١٣ / ٦٦ ، كنز العمّال ١١ / ٢٢٣ .

(١) إنّ من عرف ما ألمّ بالمسلمين عند فقد النبيّ ﷺ يعلم أنّ ذلك الوقت لا يسع نزاعاً ولا يليق به إلّا الصبر علىٰ الأذىٰ والغضّ علىٰ القذىٰ ؛ لأنّ نزاع المسلمين يومئذ يؤدّي إلىٰ اضمحلالهم ؛ ولذا أمرهم النبيّ ﷺ بالصبر . منه ﷺ .

أقول : هذا إذا صحّ ذيل هذا الحديث ، فيحمل علىٰ تلك الفترة العصيبة التي تبعت وفاة النبيّ ﷺ ، وإلّا فإطلاقه باطل ، لأنّه يدعو للخضوع للظلم والظالم ! ومنه يُعلم حال الأحاديث التالية وما يشبهها .

(٢) وقد أخرجه مسلم في ص ١١٨ من الجزء الثاني من صحيحه . منه ﷺ .
وآنظر : مشكاة المصابيح ٢ / ٣٣٥ ح ٣٦٧٢ .

(٣) في ما أخرجه عنه مسلم أيضاً في الجزء الثاني من صحيحه . منه ﷺ .
آنظر : صحيح مسلم ٦ / ١٤ ، شرح السُنّة ٦ / ٤٢ .

وأُطيع وإن كان عبداً مجدّع الأطراف. انتهىٰ.

وقال سلمة الجعفي[١]: يا نبيّ الله! أرأيت إن قامت علينا أُمراء يسألوننا حقّهم ويمنعوننا حقّنا فما تأمرنا؟

فقال ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم**».

وعن أُمّ سلمة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ستكون أُمراء عليكم فتَعرفون وتُنكِرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم**»[٢].

قالوا: أفلا نقاتلهم؟!

قال: «**لا، ما صلّوا**».

والصحاح في هذا متواترة ولا سيّما من طريق العترة الطاهرة؛ ولذا صبروا عليهم السلام وفي عيونهم قذىً، وفي حلوقهم شجىً، عملاً بهذه الأوامر المقدّسة وغيرها ممّا عهده النبيّ ﷺ إليهم بالخصوص، حيث أسرّ إليهم أن يصبروا علىٰ الأذىٰ، ويغضوا علىٰ القذىٰ، احتياطاً منه علىٰ الأُمّة، وآحتفاظاً بالشوكة، وإيثاراً للدين، وضنّاً بريح المسلمين.

فكانوا ـ كما قلناه في «المراجعات»[٣] ـ يتحرّون للقائمين بأُمور

---

(١) في ما أخرجه عنه مسلم، وهذه الأحاديث كلّها مستفيضة. منه ﷺ.

آنظر: صحيح مسلم ٦/ ١٩ كتاب الإمارة، باب في طاعة الأُمراء وإن منعوا الحقوق، مشكاة المصابيح ٢/ ٣٣٥ ح ٣٦٧٣.

(٢) هذا الحديث أخرجه مسلم في ص ١٢٢ من الجزء الثاني من صحيحه؛ والمراد بقوله ﷺ: «فمن عرف برئ» أنّ من عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صار له طريق إلىٰ البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيّره بيده أو بلسانه، فإن عجز فليكرهه ولينكره بقلبه. منه ﷺ.

آنظر: شرح السُنّة ٦/ ٣٨ ح ٢٤٥٩، مشكاة المصابيح ٢/ ٣٣٤ ح ٣٦١٧.

(٣) المراجعات: ٤٤١ ضمن المراجعة رقم ٨٢.

الأُمّة وجوه النصح، وهم ـ من استئثارهم بحقّهم ـ علىٰ أمرّ من العلقم، ويتوخّون لهم مناهج الرشد، وهم ـ من تبوّئهم عرشهم ـ علىٰ آلم للقلب من حزّ الشِفار[1]، تنفيذاً للعهد، وعملاً بمقتضىٰ العقد، وقياماً بالواجب شرعاً وعقلاً، من تقديم الأهمّ ـ في مقام التعارض ـ علىٰ المهمّ.

ولذا محض أمير المؤمنين كلّاً من الخلفاء الثلاثة نصحَه، وآجتهد لهم في المشورة.

فإنّه بعد أن يئس من حقّه في الخلافة شقّ بنفسه طريق الموادعة، وآثر مسالمة القائمين بالأمر.

فكان يرىٰ عرشه ـ المعهود به إليه ـ في قبضتهم، فلم يحاربهم عليه، ولم يدافعهم عنه، احتفاظاً بالأُمّة، وآحتياطاً علىٰ الملّة، وضنّاً بالدين، وإيثاراً للآجلة علىٰ العاجلة، وقد مُني بما لم يُمْنَ به أحد، حيث وقف بين خطبين فادحين:

الخلافة بنصوصها وعهودها إلىٰ جانب، تستصرخه وتستفزّه إليها بصوت يدمي الفؤاد، وشكوىٰ تفتّت الأكباد..

والفتن الطاغية إلىٰ جانب آخر، تُنذره بانتقاض الجزيرة وآنقلاب العرب وآجتياح الإسلام..

وتُهدّده بالمنافقين من أهل المدينة وقد مردوا علىٰ النفاق، وبمن حولهم من الأعراب، وهم منافقون بنصّ الكتاب، بل هم أشدّ كفراً ونفاقاً،

---

(١) الشِّفارُ والشَّفْرُ، جمع: الشَّفْرَةُ: وهي السكّين العريضة العظيمة.. وشَفَرات السيوف: حُروف حَدّها.
آنظر: لسان العرب ٧/ ١٥٠ مادّة «شفر».

وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله[١]..

وبأهل مكّة الطلقاء، مضمري العداوة والبغضاء، ومن كان على شاكلتهم من ضواري الفتنة، وطواغي الغيّ، وسباع الغارة، وأعداء الحقّ. وقد قويت بفقد النبيّ ﷺ شوكتهم، إذ صار المسلمون بعده ﷺ كالغنم المَطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب عادية ووحوش ضارية..

ومسيلمة الكذّاب، وطليحة بن خويلد الدجّال، وسَجاح بنت الحرث الأفّاكة، وأصحابهم، قائمون في محق الإسلام وسحق المسلمين على ساق..

والرومان والأكاسرة، وغيرهما من ملوك الأرض، كانوا للمسلمين بالمرصاد..

إلى كثير من هذه العناصر الجيّاشة بكلّ حنق من محمّد وآله وأصحابه ﷺ، وبكلّ حقد وحسيكة[٢] لكلمة الإسلام، تريد أن تنقض أساسها، وتستأصل شأفتها، وإنّها لنشيطة في ذلك مسرعة متعجّلة، ترى أنّ الأمر قد استتبّ لها، وأنّ الفرصة بفقد النبيّ ﷺ قد حانت، فأرادت أن تسخّر تلك الفرصة، وتنتهز تلك الفوضى قبل أن يعود الإسلام إلى قوّة وانتظام.

فوقف أمير المؤمنين بين هذين الخطرين، فكان من الطبيعي له أن يضحّي حقّه قرباناً لدين الإسلام وإيثاراً للصالح العامّ، لذلك قعد في بيته.

---

(١) إشارة إلى الآية المباركة ﴿الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً وأجدر ألّا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾ سورة التوبة ٩: ٩٧.

(٢) الحسيكة: العداوة والغضب؛ أنظر: لسان العرب ٣/ ١٧٥ مادّة «حسك»..

فلم يبايع حتّىٰ أخرجوه كرهاً[١]، احتفاظاً بحقّه، وآحتجاجاً علىٰ المستأثرين به وعلىٰ أوليائهم.

ولو أسرع إلىٰ البيعة ما قامت له حجّة، ولا سطع لأوليائه برهان، لكنّه جمع في ما فعل بين حفظ الدين، والاحتفاظ بحقّه في إمرة المؤمنين، فدلّ هذا علىٰ أصالة رأيه، ورجاحة حلمه، وسعة صدره، وإيثار المصلحة العامّة بحكمة بالغة.

ومتىٰ سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والأمر العظيم، ينزل من الله تعالىٰ بغايةِ منازل الدين، وإنّما كانت غايته ممّا فعل أربح الحالين له، وأعوَد المقصودين عليه بالثواب والقرب من ربّ الأرباب.

وإنّي والله لأعجب من هذه الأُمّة لا تقدّر هذه التضحية، ولا تُكْبِر هذا السخاء في سبيل الله!

علىٰ إنّ صممَهم عن نصوص الإمامة، وعهود الوصية، وقد شحنت صحاحهم، وملأت مسانيدهم لأعجب وأغرب!! وما أبعدهم عن الصواب إذ يقولون: ما عهدَ النبيّ إلىٰ أحد، وما أوصىٰ بشيء! أفلا يتدبّرون سننهم؟! فإنّها تثبت ما جحدوا، كما تفصّله (مراجعتنا)[٢].

ومن وقف علىٰ مذهبهم في الإمامة، ثمّ تتبع حديثهم، رأىٰ التناقض بينهما بأجلىٰ مظاهره، ضرورة أنّ مذهبهم في هذه المسألة يعارض حديثهم في خصائص عليّ وأهل البيت، وحديثهم في الخصائص يناقض مذهبهم في هذه المسألة، فهما لا يتجاريان في حلبة، ولا يتسايران إلىٰ

---

(١) آنظر: الإمامة والسياسة ١/٢٨ ـ ٣٣، تاريخ الطبري ٢/٢٣٣، الكامل في التاريخ ٢/١٨٩.

(٢) المراجعات: ٢٠٣.

غاية ، وهذه جملة تفصّلها (مراجعاتنا)[١] ، فلا مندوحة للباحثين المدقّقين عن الوقوف عليها .

وقد علم الباحثون المتتبّعون أنّا لم ننفرد عن الجمهور ـ في مذهبنا كلّه ـ برأيٍ إلّا ولنا عليه دليل من طريقهم قاطع ، كما سنثبته في كتاب نفرده لهذا الموضوع إن شاء الله تعالىٰ .

■ **أمّا إمامة عليّ** عليه السلام ، فقد ذكرنا اعتراف الجمهور بصدور النصّ عليها في مبدإ البعثة النبوية يوم الإنذار في الدار ، وأشرنا إلىٰ ما رووه بعد ذلك من النصوص المتّصلة المتتابعة من أوّل أمره إلىٰ انتهاء عمره ، حتّىٰ قال في مرضه والحجرة غاصّة بأصحابه ـ كما يصرّح به حديثهم ـ : «**أيّها الناس ! يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلقون بي ، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ، ألا وإنّي مخلّف فيكم كتاب ربّي عزّ وجلّ وعترتي**» ، ثمّ أخذ بيد عليّ فقال : «**هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ، لا يفترقان**» .. الحديث[٢] ؛ وهو من خواتيم السُنّة ، ولله الحمد والمنّة[٣] .

■ **وأمّا إمامة الأئمّة من العترة** ، فحسبك دليلاً عليها أنّهم بمنزلة الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٤] ، وأنّهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق[٥] ، وأنّهم كباب حطّة من دخله كان

---

(١) المراجعات : ٢٩٧ مراجعة ٤٩ .

(٢) الصواعق المحرقة : ١٩٤ ، وقريب منه ما في المستدرك على الصحيحين ٣/٦١٣ ح ٦٢٧٢ .

(٣) إنّ كتاب «المراجعات» يضمن تبيين ما أجملناه في هذه العجالة ، وتفصيل ما أشرنا إليه مع تعيين المصادر بكلّ وضوح . منه ﷺ .

(٤ و٥) مرّ تخريجهما في ما مضىٰ من الصفحات ؛ فراجع .

مؤمناً[١]، وأنّهم أمان أهل الأرض من العذاب، وأمان هذه الأُمّة من الاختلاف في الدين، وأنّ من خالفهم كان من حزب إبليس[٢]، وأنّ من تقدّمهم هالك، ومن قصّر عنهم هالك[٣]، إلىٰ آخر ما ذكرناه في «المراجعات»[٤] من الأدلّة علىٰ إمامتهم ووجوب طاعتهم.

■ **وأمّا حصر الخلافة في اثني عشر**، فقد نصَّ عليه سيّد البشر، في ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأبو داود وأحمد بن حنبل والبزّار، وغيرهم، بطرق كثيرة إلىٰ جابر بن سمرة[٥]..

وأخرجه أحمد والبزّار بسند صحيح إلىٰ ابن مسعود[٦]..

وهو من الأحاديث المجمع علىٰ صحّتها عندهم، وقد ارتبكوا في معناه فطاشت سهامهم!

وبالجملة: فإنّ رسول الله ﷺ لم يبقِ غاية إلّا أوضح سبيلها، ولم يدع آبدة[٧] إلّا أقام دليلها، حتّىٰ ترك أُمّته علىٰ الحنيفية البيضاء، ليلها

---

(١) المعجم الأوسط ٦/١٤٧ ح ٥٨٧٠، مجمع الزوائد ٩/١٦٨، الصواعق المحرقة: ٣٥٢.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/١٦٢ ح ٤٧١٥، ذخائر العقبىٰ: ٤٩، الصواعق المحرقة: ٣٥١ باب الأمان ببقائهم.

(٣) المعجم الكبير ٣/٦٦ ح ٢٦٨١.

(٤) المراجعات: ٢٦ المراجعة ٨.

(٥) صحيح البخاري ٩/١٤٧ ح ٧٩ كتاب الأحكام، صحيح مسلم ٦/٣ كتاب الإمارة، سنن أبي داود ٤/١٠٣ ح ٤٢٧٩ و ٤٢٨٠، مسند أحمد ٥/٨٦، مجمع الزوائد ٥/١٩١ باب الخلفاء الاثني عشر نقلاً عن البزّار، سنن الترمذي ٤/٤٣٤ ح ٢٢٢٣، المعجم الكبير ٢/١٩٦ ح ١٧٩٤.

(٦) مسند أحمد ١/٤٠٦، مجمع الزوائد ٥/١٩٠ نقلاً عن البزّار.

(٧) الآبدة: الكلمة أو الفِعلة الغريبة، والداهية التي يبقىٰ ذِكرها علىٰ الأبد. أنظر: لسان العرب ١/٤١ مادّة «أبد».

كنهارها، ما تركهم في جهالة، ولا أهملهم ليكونوا بعده في ضلالة، ولا أوكلهم إلىٰ أهوائهم، ولا تركهم يسرحون علىٰ غُلَوائهم[١]، بل ربطهم بثقليه، وعصمهم بحبليه، حيث جعل أئمّة عترته الاثني عشر أعدال كتاب الله، وأنزلهم منزلته من ربّه[٢]، ومن الأُمّة بمنزلة الرأس من الجسد[٣].

❀ ❀ ❀

﴿ ربّنا آمنّا بما أنزلت وآتّبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين ﴾
﴿ ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب ﴾

والحمد لله أوّلاً وآخراً،

وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وآله، وسلّم تسليماً كثيراً.

تمّت الكلمة في مدينة صور، يوم الاثنين، منتصف ربيع الثاني، سنة ألف وثلاثمائة وستّين للهجرة المباركة، بقلم أصغر خدمة الدين: عبد الحسين بن يوسف بن الجواد بن إسماعيل بن محمّد بن محمّد بن إبراهيم شرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي ابن الحسين الموسوي العاملي، عاملهم الله بلطفه.

﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين ﴾

---

(١) الغُلَواء: سرعةُ الشباب وأوّلُه وشِرَّتُه؛ آنظر: لسان العرب ١٠/ ١١٤ مادّة «غلا».

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٧٠.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٩٣ ح ٣٥.

مصادر التحقيق

١ ـ **في البدء : كلام الله المجيد** .
٢ ـ **الاحتجاج** ، للطبرسي أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٢٠) ، تحقيق إبراهيم البهادري وآخرين ، نشر دار الأسوة ، قم ١٤١٦ .
٣ ـ **الإرشاد** ، للشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان (ت ٤١٣) ، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، نشر دار المفيد ، بيروت .
٤ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢) ، تحقيق علي محمّد البجاوي ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .
٥ ـ **الأعلام** ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٧ .
٦ ـ **إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ** ، للطبرسي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨) ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ١٤١٧ .
٧ ـ **أعيان الشيعة** ، لمحسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١) ، تحقيق حسن الأمين ، نشر دار التعارف ، بيروت ١٤٠٦ .
٨ ـ **الأغاني** ، لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسن (ت ٣٥٦) ، شرح عبد علي مهنّا وسمير جابر ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ .
٩ ـ **الأمالي** ، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن علي (ت ٣٨١) ، تحقيق ونشر مؤسّسة البعثة ، طهران ١٤١٧ .
١٠ ـ **الإمامة والسياسة** ، لابن قتيبة الدينوري عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦) ، تحقيق علي شيري ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤١٠ .
١١ ـ **بحار الأنوار** ، للمجلسي محمّد باقر بن محمّد تقي (ت ١١١٠) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٣ .
١٢ ـ **البداية والنهاية** ، لابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي البصري (ت ٧٧١) ، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .
١٣ ـ **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)** ، لمحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٤ ـ **تاريخ بغداد** ، للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت ٤٦٣) ، نشر دار

الكتب العلمية ، بيروت .

١٥ ـ **تاريخ اليعقوبي** ، لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب (ت ٢٩٢) ، تحقيق عبد الأمير مهنّا ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤١٣ .

١٦ ـ **تفسير الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** ، لجلال الدين السيوطي عبد الرحمٰن بن أبي بكر (ت ٩١١) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

١٧ ـ **تفسير الطبري (جامع البيان)** ، لمحمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢ .

١٨ ـ **تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)** ، لمحمّد بن عمر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦) ، تحقيق خليل محيي الدين ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

١٩ ـ **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)** ، للقرطبي محمّد بن أحمد الخزرجي (ت ٦٧١) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ .

٢٠ ـ **تفسير القمّي** ، لعلي بن إبراهيم القمّي (ق ٤) ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤١٢ .

٢١ ـ **تفسير الكشّاف** ، للزمخشري (ت ٥٣٨) ، نشر دار الفكر .

٢٢ ـ **تهذيب الأحكام** ، لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠) ، تحقيق حسن الموسوي الخرسان ، نشر دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٦٥ .

٢٣ ـ **تهذيب التهذيب** ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢) ، نشر دار إحياء التراث ، بيروت .

٢٤ ـ **جمهرة اللغة** ، محمّد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١) ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧ .

٢٥ ـ **جواهر العقدين** ، لنور الدين علي بن عبد الله السمهودي (ت ٩١١) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

٢٦ ـ **خزانة الأدب** ، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٣٠) ، تحقيق محمّد نبيل طريفي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨ .

٢٧ ـ **الخصال** ، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١) ، تحقيق علي أكبر الغفّاري ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١٦ .

٢٨ ـ **الدرّة النجفية** ، للسيّد بحر العلوم مهدي بن مرتضىٰ البروجردي الطباطبائي ، نشر مكتبة المفيد ، قم ١٤٠٥ .

٢٩ ـ **دلائل النبوّة** ، للبيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨) ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ .

٣٠ ـ **ديوان أبي تمّام** ، تحقيق محيي الدين صبحي ، نشر دار صادر ، بيروت ١٩٩٧ .

٣١ ـ **ديوان أُميّة بن أبي الصلت** ، نشر دار ومكتبة الحياة ، بيروت .

٣٢ ـ **ديوان جرير** ، طبع دار صادر ، بيروت ١٩٩١ .

٣٣ ـ **ديوان مجنون ليلىٰ** ، شرح الدكتور يوسف فرحات ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٩ .

٣٤ ـ **ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ** ، لأحمد بن محمّد محبّ الدين الطبري (ت ٦٩٤) ، تحقيق أكرم البوشي ، نشر مكتبة الصحابة والتابعين ، القاهرة ١٤١٥ .

٣٥ ـ **السنن الكبرىٰ** ، للبيهقي (ت ٤٥٨) ، نشر دار الفكر .

٣٦ ـ **سنن ابن ماجة** ، لمحمّد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥) ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٧ ـ **سنن أبي داود** ، لسليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥) ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ .

٣٨ ـ **سنن الترمذي** ، لمحمّد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٩ ـ **سير أعلام النبلاء** ، للذهبي محمّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، نشر مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٤١٤ .

٤٠ ـ **شرح السُّنّة** ، لابن أبي الحديد للحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (ت ٥١٦) ، تحقيق سعيد اللحّام ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٤١ ـ **شرح نهج البلاغة** ، لابن أبي الحديد المعتزلي عزّ الدين عبد الحميد ابن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦) ، نشر دار الجيل ، بيروت ١٤١٦ .

٤٢ ـ **شعب الإيمان** ، للبيهقي أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨) ، تحقيق محمّد السعيد بن بسيوني زغلول ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠ .

٤٣ ـ **شواهد التنزيل** ، لعبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحسكاني (ت ٤٧٠) ، تحقيق محمّد باقر المحمودي ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٣٩٣ .

٤٤ ـ **الصحيفة السجّادية** ، من أدعية الإمام السجّاد زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام (ت ٩٥) ، نشر دار كرم ، دمشق .

٤٥ ـ **صحيح البخاري** ، للبخاري (ت ٢٥٦) ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

٤٦ ـ **صحيح مسلم** ، لمسلم بن الحجّاج القشيري (ت ٢٦١) ، نشر دار الجيل ، بيروت .

٤٧ ـ **الصواعق المحرقة** ، لأحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ .

٤٨ ـ **العقد الفريد** ، لأحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٧) ، نشر دار الأندلس ، بيروت ١٤١٦ .

٤٩ ـ **الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب** ، لعبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت ١٣٨٩) ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤١٤ .

٥٠ ـ **غرر الحكم ودرر الكلم** ، لعبد الواحد الآمدي التميمي (ق ٥) ، تصحيح حسين الأعلمي ، نشر مؤسّسة الأعلمي ، بيروت ١٤٠٧ .

٥١ ـ **الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة** ، لعبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧) ، تحقيق عبد الجبّار شرارة ، نشر رابطة الثقافة والعلاقات ، قم ١٤١٧ .

٥٢ ـ **فضائل الصحابة** ، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) ، تحقيق وصي الله بن محمّد عبّاس ، نشر دار ابن الجوزي ، الدمّام ١٤٢٠ .

٥٣ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢) ، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمّد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٠ .

٥٤ ـ **القصائد الهاشميات والقصائد العلويات** ، للكميت بن زيد الأسدي وابن أبي الحديد المعتزلي ، منشورات مؤسّسة الأعلمي ، بيروت .

٥٥ ـ **الكامل في التاريخ** ، لابن الأثير علي بن محمّد الجزري (ت ٦٣٠) ، تحقيق عبد الله القاضي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥ .

٥٦ ـ **الكافي** ، للكليني محمّد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩) ، تحقيق ونشر دار الأُسوة للطباعة والنشر ، طهران ١٤١٨ .

٥٧ ـ **كامل الزيارات** ، لأبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه (ت ٣٦٧) ، تحقيق عبد الحسين الأميني ، نشر المطبعة المرتضوية ، النجف ١٣٥٦ .

٥٨ ـ **كنز العمّال** ، لعلي المتّقي الهندي (ت ٩٧٥) ، تحقيق بكر حيّاني وغيره ، نشر مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣ .

٥٩ ـ **الكنىٰ والألقاب** ، لعبّاس بن محمّد رضا القمّي (ت ١٣٥٩) ، تحقيق محمّد هادي الأميني ، نشر مكتبة الصدر ، طهران ١٤٠٩ .

٦٠ ـ **لسان العرب** ، لابن منظور محمّد بن مكرم (ت ٧١١) ، تحقيق علي شيري ، نشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨ .

٦١ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن** ، للطبرسي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨) ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ .

٦٢ ـ **مجمع الزوائد** ، لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧) ، نشر دار الكتب العليمة ، بيروت ١٤٠٨ .

٦٣ ـ **المراجعات** ، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت ١٣٧٧) ، تحقيق حسين الراضي ، نشر دار الكتاب الإسلامي .

٦٤ ـ **مستدركات أعيان الشيعة** ، لحسن الأمين ، نشر دار التعارف ، بيروت ١٤٠٩ .

٦٥ ـ **المستدرك علىٰ الصحيحين** ، للحاكم النيسابوري محمّد بن عبدالله (ت ٤٠٦) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ .

٦٦ ـ **مستدرك الوسائل** ، لميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠) ، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ١٤١١ .

٦٧ ـ **المسند** ، لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١) ، نشر دار صادر ، بيروت .

٦٨ ـ **المسند** ، للشاشي الهيثم بن كليب (ت ٣٣٥) ، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنوّرة ١٤١٠ .

٦٩ ـ **مشكاة المصابيح** ، لمحمّد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤١١ .

٧٠ ـ **المصنّف في الأحاديث** ، لمحمّد بن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥) ، تحقيق سعيد اللحّام ، نشر دار الفكر ، بيروت ١٤٠٩ .

٧١ ـ **المطوّل شرح تلخيص المفتاح** ، لمسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣) ، نشر المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ١٣٣٠ .

٧٢ ـ **معاني الأخبار** ، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن علي (ت

٣٨١) ، تحقيق علي أكبر الغفّاري ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ١٣٦١ .

٧٣ ـ **معجم الأُدباء** ، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١ .

٧٤ ـ **المعجم الأوسط** ، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) ، تحقيق أيمن صالح شعبان وسيّد أحمد إسماعيل ، نشر دار الحديث ، القاهرة ١٤١٧ .

٧٥ ـ **معجم البلدان** ، لياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦) ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧٦ ـ **المعجم الصغير** ، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ .

٧٧ ـ **المعجم الكبير** ، لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، نشر دار إحياء التراث العربي .

٧٨ ـ **معجم المؤلّفين** ، لكحّالة ، نشر مؤسّسة الرسالة ، بيروت ١٤١٤ .

٧٩ ـ **الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف** ، لابن طاووس علي بن موسىٰ بن جعفر (ت ٦٦٤) ، تحقيق فارس الحسّون ، نشر دار الأسوة ، قم ١٤١٤ .

٨٠ ـ **مناقب آل أبي طالب** ، لمحمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت ٥٨٨) ، تحقيق يوسف البقاعي ، نشر دار الأضواء ، بيروت ١٤١٢ .

٨١ ـ **مناقب الإمام عليّ** عليه السلام ، للموفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت ٥٦٨) ، تحقيق مالك المحمودي ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي ، قم ١٤١١ .

٨٢ ـ **النصّ والاجتهاد** ، لعبدالحسين شرف الدين الموسوي (ت ١٣٧٧) ، تحقيق أبو مجتبىٰ ، نشر الدار الإسلامية ، بيروت ١٤٠٤ .

٨٣ ـ **نهج البلاغة** ، جمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦) ، تحقيق صبحي الصالح ، نشر دار الكتاب المصري ، بيروت ١٤١١ .

٨٤ ـ **وفيات الأعيان** ، لابن خلّكان أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت ٦٨١) ، تحقيق إحسان عبّاس ، نشر دار صادر ، بيروت .

مكتبة
(من ذخائر التراث)

صدر منها إلى الآن...

1 ـ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله	ابن سعد
2 ـ ترجمة الإمام الحسن عليه السلام	ابن سعد
3 ـ خبر الغدير	الكراجكي
4 ـ المقنع في الغيبة	السيد المرتضى
5 ـ نقض فتاوى الوهابية	كاشف الغطاء
6 ـ الرد على الوهابية	الشيخ البلاغي
7 ـ القول المبين عن وجوب مسح الرجلين	الكراجكي
8 ـ عجالة المعرفة في أصول الدين	الراوندي
9 ـ النكت في مقدمات الأصول	الشيخ المفيد
10 ـ الوجيزة في الدراية	الشيخ البهائي
11 ـ الخلاصة في علم الكلام	السبزواري
12 ـ فلسفة الميثاق والولاية	السيد شرف الدين
13 ـ تفسير سورة الدهر	نصير الدين الحسني
14 ـ تخميس قصيدة البردة	البوصيري
15 ـ الأربعون حديثاً في المهدي	الأصبهاني
16 ـ صحائف الأبرار في وظائف الأسحار	كاشف الغطاء
17 ـ المعقبون من ولد أمير المؤمنين	العبيدلي
18 ـ تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب	السمرقندي

19 ـ فكرة عن جمع القرآن	السيد الخوئي
20 ـ نبذة عن السياسة الحسينية	كاشف الغطاء
21 ـ نبذة من جواهر الكلام	الآمدي
22 ـ الحكايات	الشيخ المفيد
23 ـ المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى	الكفعمي
24 ـ فضائل أمير المؤمنين	ابن دأب
25 ـ مناظرة هشام بن الحكم في مجلس هارون الرشيد	ابن هشام
26 ـ مناظرة الملك ركن الدولة للصدوق ابن بابويه	الشيخ الصدوق
27 ـ مسند الحبري	الحبري
28 ـ بغية الطالب في حال أبي طالب	محمد العاملي
29 ـ شرح لفظ الجلالة	الشيخ علي البحراني
30 ـ الدُّرة البَهيَّة	الشيخ مرزوق الشويكي
31 ـ منهاج الحق واليقين	ولي بن نعمة الحائري
32 ـ أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثأر	السيد محسن الأمين
33 ـ زهر الرياحين	أحمد بن طاوس
34 ـ الندبة الأولى	للإمام السجاد
35 ـ مرثية الإمام الحسين عليه السلام + ـ تسمية من قتل مع الإمام الحسين عليه السلام	ـ الملا حبيب الكاشاني ـ الفضيل بن الزبير
36 ـ الباقيات الصالحات	السيد الخراساني

«**تراثنا**» نشرة فصلية تُصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، وهي تُعنى بشؤون التراث والمخطوطات. ومن محتوياتها الثابتة باب «**من ذخائر التراث**»، وفيه يُنشر مخطوط صغير بعد تحقيقه. هذه الكتب والرسائل المخطوطة المحققة توزعت مواضيعها على شتى أصناف المعرفة من علوم: الفقه، والأصول، والحديث، والرجال، والتفسير واللغة والأدب، والأنساب، والتاريخ، والبلاغة وغيرها.

ارتأينا استلال هذه الذخائر من نشرة «**تراثنا**» وطباعتها بشكل مستقل تعميماً للفائدة، فكان مشروع «**سلسلة ذخائر تراثنا**» الذي نأمل أن يُساهم في تعميق الوعي الثقافي بأهمية التراث ودوره في حفظ أصالة الأمة، وتثبيت مقوماتها الحضارية.

www.alalbayt.org.lb